مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها

الموقع الإلكتروني: https://uqu.edu.sa/jll

توظيف جبل رضوى في الشِّعر العربيِّ

The Use of Mount Radwa in Arabic Poetry

عادل محمد الرفاعي

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية

ADEL MOHAMMED ALREFAEI

Department of Arabic Language and Literature, College of Arts and Human Sciences, Taibah University, Al-Madinah Al-Munawwarah, Saudi Arabia

تاريخ التقديم: 2024/08/23 تاريخ ارسال التعديلات: 2024/10/28 تاريخ القبول: 2025/02/05

Received:23/08/2024 Revised:28/10/2024 Accepted: 05/02/2025

الملخص:

يتتبَّع هذا البحث أشكال توظيف الشُّعراء العرب لجبل رضوى في قصائدهم، وذلك للوقوف على دلالاته وأشكال توظيفه، واستنباط السِّياقات التي وظَّفها الشُّعراء للتَّعبير عن هذه المعاني. ويُبرز البحث مستوى حضور هذا الجبل في مدونة الشِّعر العربيِّ، وطبيعة توظيفه المتنوِّعة، والتي تشمل وصفه المباشر وتحديد موقعه، وتحديد المعاني الرَّمزيَّة التي أضفاها الشُّعراء عليه، بالإضافة إلى الوقوف على قيمته الثقافيَّة في الوعيِّ العربيِّ كما ظهرت في الشِّعر عبر تاريخه الممتدِّ من عصر ما قبل الإسلام وحتى العصر الحديث. ولم يقتصر البحث في تتبُّعه لجبل رضوى في الشِّعر العربيِّ على حقبة زمنية معينة، وإنَّما تتبع حضور هذا الجبل في كلِّ العصور الأدبيَّة وصولًا إلى العصر الحديث. كما أنَّ البحث لم يقتصر على دراسة الأنماط والسِّياقات الشِّعريَّة التي وُظِّف فيها هذا الجبل عند شعراء الجزيرة العربية أو المناطق المجاورة فقط، وإنما شملت الدِّراسة قصائد الشُّعراء من بيئات بعيدة مثل شعراء الأندلس وغيرهم من الشُّعراء الذين لم يكن جبل رضوى من بيئاتهم الجغرافيَّة التي عاشوا فيها، وهذا يؤكِّد أنَّه جزء من المعاني والتَّقاليد الشِّعريَّة العامَّة. وجاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة محاور: وصف جبل رضوى، جبل رضوى والمعاني الإيجابية، جبل رضوى والمعاني السَّلبيَّة.

الكلمات المفتاحية: جبل رضوى، تقاليد الشِّعر، المكان، القيمة الثَّقافيَّة.

Abstract:

This research traces the various ways in which Arab poets employed Mount Radwa in their poems, aiming to identify its meanings and usages, and to extract the contexts poets used to express these meanings. The research highlights the extent of this mountain's presence in the corpus of Arabic poetry and the diverse nature of its utilization, which includes direct description, location identification, and the symbolic meanings poets attributed to it. Additionally, it examines the cultural significance of the mountain in Arab consciousness, as reflected in poetry throughout history, from the pre-Islamic era to modern times. The research did not limit its exploration of Mount Radwa in Arabic poetry to a specific time period but instead traced the presence of this mountain across all literary eras, up to the modern era. Additionally, the research was not confined to studying the poetic patterns and contexts in which this mountain was utilized by poets from the Arabian Peninsula or neighboring regions. The study also included the works of poets from distant environments, such as Andalusian poets and others who did not live near Mount Radwa, highlighting that it is part of general poetic meanings and traditions. The research focused on three axes: the description of Mount Radwa, Mount Radwa and positive meanings, and Mount Radwa and negative meanings.

Keywords: cultural value, Mount Radwa, place, poetic traditions

المؤلف المراسل : عادل محمد الرفاعي

البريد الالكتروني الرسمي : arfaee@taibahu.edu.sa

Doi: https://doi.org/10.54940/ll18204620

1658-8126 / © 2025 by the Authors.

Published ***by J. Umm Al-Qura Univ. Lang. Sci. and Lit.***

المقدمة

يركّز هذا البحث على سياقات توظيف جبل رضوى في الشعر العربي عبر عصوره وبيئاته المختلفة، وذلك لكونه يحظى بحضور لافت في مدونة الشعر العربي، فقد وظّفه الشعراء ضمن قصائدهم في موضوعات مختلفة تستدعي النَّظر فيها وتتبّعها وتصنيفها، الأمر الذي من شأنه إبراز قيمة هذا الجبل على المستوى الثقافي العام في تعبيره عن واحد من معالم الثقافة العربية في إحدى بيئاتها المهمة والأصيلة، وعلى المستوى التاريخي والوجداني الخاص بالشعراء ضمن مواقف حياتهم التي عبَّروا عنها في قصائدهم. وعلى الرغم من حضور جبل رضوى اللافت في مدونة الشعر العربي، فإن البحث لم يجد أيّ دراسة تختصّ بتتبع توظيف الشعراء له ولطرائق توظيفه والمعاني التي وظَّفوه للتعبير عنها. واستقرأ البحث حضور جبل رضوى في المراحل التاريخية المختلفة محددًا الأطر الدلالية والسياقيَّة لحضوره في قصائد الشعراء، كما اعتمد البحث على المنهج التاريخي في توضيح الحقبة الزمنية والبيئات المختلفة للشعراء الذين وظفوه.

ويضطلع البحث بتتبع المعاني المتعلِّقة بجبل رضوى التي وظفها الشعراء في دواوينهم، وما جاء أيضاً في المجاميع الشعرية؛ للوقوف على تنوع معاني هذا الجبل الغنية واللطيفة، والسياقات التي يوظّفها الشعراء من أجلها، لا سيّما أن حضوره لم يقتصر على مرحلة زمنية محددة، كالعصور الأقدم من الشعر العربي، وإنّما شهد امتدادًا عبر التاريخ الأدبي العربي الطويل. ومن الظواهر اللافتة للغاية في ما يتعلق بجبل رضوى أن حضوره لم يقتصر على شعراء الجزيرة العربية أو المناطق المجاورة، وإنّما شهد حضورًا متّصلًا في قصائد شعراء من بيئات بعيدة، مثل ابن سهل الأندلسي، والأعمى التطيلي، ولسان الدين بن الخطيب، وغيرهم من الشعراء الذين لم يكن جبل رضوى من بيئاتهم الجغرافية التي عاشوا فيها. ولهذا أهميّة كبيرة في إبراز قيمة هذا الجبل التي وصلت إلى حدٍّ يمكن وصفه بأنه من الرموز المستقرّة في مدونة الشعر العربي، وجزء من تقاليده اللفظية والدلالية التي يتناقلها الشعراء في كل مكان وصلت إليه الأعراف الشعرية العربية.

بناء على ما تقدَّم، يتتبَّع هذا البحث صور جبل رضوى في الشِّعر العربي ضمن تمهيد بعنوان جبل رضوى وقيمته الثّقافية والرمزية في الحياة العربية، وثلاثة محاور: وصف جبل رضوى، جبل رضوى والمعاني الإيجابية، جبل رضوى والمعاني السلبية.

تمهيد: جبل رضوى وقيمته الثّقافية والرمزية في الحياة العربية

احتلّ المكان مكانة مرموقة عند العرب في الجزيرة العربية، فقد تعايشوا مع معطيات البيئة القاسية، ليس على مستوى الموارد فحسب، وإنما أيضًا على مستوى التنقّل وتحديد معالم طريق حركتهم وتنقّلهم، لترشدهم وتأويهم. وحددوا عبر مسيرة حياتهم مواضع معينة شكَّلت مراكز ونقاطًا يلجأون إليها ويسترشدون بها. وأضفت الثقافة العربية على بعض الأماكن المهمَّة قيمة ثقافية ورمزية تبعًا لما عرفه الناس عنها من أنماط معيشيّة، بعضها له طابع القداسة والحُرمة، والرخاء والراحة، ولبعضها الآخر طابع القوّة والمنعة، بالإضافة إلى أشكال مختلفة من القِيَم التي عرفها العرب عبر تاريخ مجتمعاتهم وما شهدوه من تحوّلات وتنظيمات.

ومن الأماكن التي اكتسبت قيمة رمزية وثقافية في الحياة العربية جبل رضوى المعروف من جبال تهامة في الحجاز، التي يُعدُّ جبل رضوى "أوّل جبالها الشمالية... وهي من ينبع على يوم، ومن المدينة على سبع مراحل ميامنة طريق المدينة، ومياسرة طريق البُرَيْراء لمن كان مصعدًا إلى مكة، وعلى ليلتين من البحر"[(1)]. ولأهميّة هذا الجبل يجعله عرام السُّلَمي معلمًا لتحديد مدينة ينبع، فيقول: "ومن يمين رضوى لمن كان منحدرًا من المدينة إلى البحر، وعلى ليلة من رضوى (ينبع) وبها منبر، وهي قرية كبيرة غنَّاء، سكانها الأنصار وجُهينة ولَيث أيضًا..."[(2)] كما ذكره عددٌ من الرحَّالة الذين عبروا المنطقة، ووصفوه وحددوا مكانه، فحدّده –على سبيل المثال– أبو سالم العيَّاشي (1037–1090هـ) في رحلته الشهيرة المعروفة بالرحلة العيّاشيّة، بأنه على مقربة من ينبع، وأنّه "أكبر جبال تلك البلاد"[(3)].

وقد وصفه ياقوت الحموي في معجم البلدان بأنه "جبل منيف ذو شعاب وأودية، ويُرَى من ينبع أخضر، وبه مياه كثيرة وأشجار، وهو الجبل الذي يزعم الكيسانية أن محمد بن الحنفيّة به مقيم حيّ يرزق، ومن رضوى يُقطَع حجر المسنّ ويحمل إلى الدنيا كلّها"[(4)].

ولرضوى حضور في جلِّ معاجم اللغة العربية، فقد ذكر ابن منظور في "لسان العرب" أن رضوى "جَبَل بالمدينة، والنِّسْبة إليه رَضَوي، قال ابن سيده: ورَضْوى اسم جبل بعينه، وبه سميت المرأَةُ"[(5)]. وجاء عند ابن دريد الأزدي في جمهرة اللغة أن أصل الاسم جاء من الرضا، فقال: "ورَضْوَى: جبل معروف، وأحسب اشتقاقَه من الرِّضا لأن أصل الرِّضا الواو، تقول: رِضْوان ورَضْوَى"[(6)].

ووقعت في محيط هذا الجبل بعض القصص والأحداث التاريخية التي وردت في كتب التراث العربي، ومنها أنَّ به "بقايا من جذام، سكان بتلك البلاد، فأجلتهم عنها جهينة، ونزلت بها، وتلاحقت قبائلهم وفصائلهم، وتفرّقت في جبل رضوى والجبال المحيطة به"[(7)].ومن الأحداث التي ذكرتها كتب

(1) عرام بن الأصبع السُّلمي (275هـ)، أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، تح. عبد السلام هارون، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة، ط1، 1373هـ. ص5.

(2) المرجع السابق، ص 8.

(3) العياشي، أبو سالم عبد الله بن أبي بكر، الرحلة العيّاشيّة، تح. د. سعيد الفاضلي ود. سليمان القرشي، دار السويدي، أبوظبي، ط1، 2006م. 297/1.

(4) الحموي ياقوت (626هـ)، معجم البلدان، الطبعة: الثانية، دار صادر– بيروت، ١٩٩٥م. (51/3).

(5) ابن منظور (711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط4، 2005م. مادة رضي، (324/14).

(6) ابن دريد الأزدي (321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987هـ. (رضو) (753/2).

(7) انظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 487)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ. (35/1).

التاريخ بعد الإسلام "أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خرج من المدينة في ثاني غزوة له يريد عيرًا لقريش حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا ولا حربًا"[8]. كما سُمِّيت هذه الغزوة كذلك بغزوة رضوى[9]. يقول مالك بن المرحَّل: (بحر الطويل)

دَنَتْ بَعْدَ هَذَا مِنْ بُوَاطٍ غُزَاتُهُ * بِحَوْمَةِ رَضْوَى قَاطِعًا كُلَّ فَدْفَدِ[10]

ومن الأحداث التي وقعت في العصر الحديث عند هذا الجبل اجتماع جلالتي الملك عبد العزيز (ت 1373هـ) ملك المملكة العربية السعودية والملك فاروق (ت 1384هـ) ملك مصر في سفوح جبل رضوى ليلة 1364/2/15هـ، وقد صور الشاعر فؤاد شاكر هذا الحدث التاريخي في قصيدة مُطوَّلة بعنوان (من ذكريات سفح جبل رضوى)، و"تشتمل أبياتها على ذكريات تلك الرحلة، وتسجل وصفًا لما اعترضها من مناظر الصحراء وطبيعة البادية والصيد والقنص ومنظر البدر على شاطئ البحر وغير ذلك"[11]. ومن ذلك قوله: (بحر الطويل)

طَوَيْنَا إِلَيْكَ البِيدَ حِينَ نَسِيرُ

وَفِي الصَّدْرِ مِنَّا لَوْعَةٌ وَزَفِيرُ

نُسَائِلُ عَنْ رَضْوَى وَمَا أَنْتَ قَصْدُنَا

وَلَكِنْ لَنَا بِالسَّفْحِ مِنْكَ أُمُورُ

تَشَاهَقْتَ فِي الأَعْنَاقِ تَبْغِي سَمَاءَهَا

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِالمِأْزِمَيْنِ ثَبِيرُ[12]

كَأَنَّكَ فِي تِلْكَ المَنَازِلِ مُفْرَدٌ

وَمَا لَكَ فِي ذَاكَ الشُّمُوخِ نَظِيرُ

فَيَا سَفْحَ رَضْوَى جَادَكَ المِزْنُ وَالحَيَا

وَحَيَّاكَ مُنْهَالُ السَّحَابِ غَزِيرُ

وَيَا سَفْحَ رَضْوَى كُنْتَ بِالأَمْسِ مُغْفَلاً

وَمَا لَكَ فِي سَمْعِ الزَّمَانِ عُبُورُ [13]

يظهر مما تقدَّم أنَّ مكانة جبل رضوى لم تقتصر على العصور القديمة، وإنما استمرت حتى العصر الحديث، فهو مَعلمٌ يلتقي فيه القادة والحكَّام، مع أنَّه ليس مقرَّ الحكم والدولة المركزيَّة، وهذا يضيف قيمة خاصة لما مثَّله الجبل في منطقته، فقد كانت العرب تأخذ من محيط هذا الجبل طريقًا مختصرًا في أسفارها وتجاراتها بين مكة والشام[14]، وتواصل ذلك إلى تشكيلات دلاليَّة ورمزيَّة في الثقافة العربيَّة.

والناظر في مدوّنة الشعر العربي يلحظ حضورًا كبيرًا لجبل رضوى، ضمن قصائد الشعراء وفي صورهم، متّخذًا مجموعة غنية من المعاني التي لا تهدف غالبًا إلى مجرد ذكره، أو حتى وصفه وتحديد مكانه، وإنما الأمر المهم هو توظيفه في سياقات تعبيريّة توحي بأنّ معاني هذا الجبل مستقرّة في وعي العرب، وأنها من باب المعلوم بالضرورة. وللتمثيل على هذه المسألة، يمكن ذكر ما ورد عن أبي صخر الهُذَلي في قوله: (بحر الكامل)

ولــو أن مَــا حُمِّلْــتُ حُمِّلَــهُ * شَعَفَاتُ رَضْوَى، أَوْ ذَرَى بُرْمِ[15]

فالهذلي يشير إلى أنّ حمله تنوء عن تحمُّله أقوى الأماكن وأكثرها ثباتًا، ويذكر رضوى على ذلك المعنى، بهدف تعظيم حمله إلى الحدود القصوى. وستظهر المحاور الثلاث الآتية وصف جبل رضوى، والمعاني الإيجابية والسلبية التي وظَّفه الشعراء للتعبير عنها.

المحور الأول: وصف جبل رضوى

أ. الوصف المكاني لجبل رضوى وما يجاوره:

يبرز جبلُ رضوى في الشِّعر العربي موصوفًا في أبعاده المختلفة، ومن أبرز هذه الأبعاد وصف مكان جبل رضوى وما يجاوره من جبال، أو ما يوازيه من جبالٍ متفاوتة في القرب والبعد منه، بالإضافة إلى اقترانه بالربوات والهضبات المكوِّنة له. ومن اللافت للانتباه أنَّ جبل رضوى يُطلَقُ عليه في الشِّعر العربيّ "جبال" و"أجبال"، وكذلك "أجبُلٌ"، جمع جَبَل، كما ورد في لسان العرب[16]. ومن ذلك قول الشَّريف الرَّضي: (بحر الرجز)

يَطْلَعْــنَ مِــنْ أَجْبَــالِ رَضْــوَى وَخِــيَمْ

بِهَــا وَقَــارٌ بَعْــدَمَا كَــانَ لَمَــمْ[17]

وكذلك قول الشريف المرتَضى في رثاء زوجته أمّ محمد، وقد أضناه الحزن

(8) ابن هشام (ت213هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1375هـ – 1955م. (598/1).

(9) انظر: البيهقي (458هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ. (55/1).

(10) محمد مسعود جبران، مالك بن المرحل أديب العدوتين (ت699هـ)، دراسة تحليلية في أخباره وآثاره وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2005م. (ص389).

(11) فؤاد شاكر، وحي الفؤاد، دار النوادر والدرر، القاهرة، 1369هـ/1950م. (ص236).

(12) ثبير: جبل مشهور شرق منى. معجم البدان، ياقوت الحموي، (73/2).

(13) وحي الفؤاد، فؤاد شاكر، ص236-238.

(14) أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، عرام بن الأصبع السُّلمي (275هـ)، ص396؛ وجواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، لبنان، ط4، 1422هـ/2001م. (444/14).

(15) لسان العرب، ابن منظور، (45/12)؛ والزبيدي، تاج العروس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت. (31/ 269).

(16) لسان العرب، ابن منظور، مادة جبل، (96-99).

(17) الشريف الرضي، ديوانه، شرحه وعلق عليه: محمود مصطفى حلاوي، دار الأرقم، بيروت، 1999م. (276/2). وخيم: بوزن قيم اسم جبل بعمايتين. –عماية أو عمايتان– جبلان بنجد. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 413/2.

عليها .(بحر الطويل).

وَقَبْلَـــكَ مَـــا نَالَ الزَّمَـــانُ مُعَلَّقًـــا
بِأَجْبَـــالِ رَضْـــوَى يَرْتَعِـــي ثَمَّ مَرْدَهَـــا[18]

وقال بدر الحلبي يعاتب بعض إخوانه: (بحر الوافر)

وَكُنْـــتُ أَظُـــنُّ أَنَّ جِبَـــالَ رَضْـــوَى
تَـــــــزُولُ وَأَنَّ وُدَّكَ لَا يَـــــــزُولُ
وَلَكِـــنَّ الأُمُـــورَ لَهَـــا اضْـــطِرَابٌ
وَأَحْـــوَالُ ابْـــنِ آدَمَ تَسْـــتَحِيلُ[19]

وكقول ابن الزّيّات: (بحر الطويل)

وَلَـــوْ أَنَّ مَـــا أَلْقَـــى مِـــنَ الوَجْـــدِ سَـــاعَةً
بِأَجْبَـالِ رَضْـوَى هُـدَّ مِنْهَـا صُـحُورُهَا[20]

ويُوصَف رضوى كذلك بـ "أعلام" رضوى، كما في قول ابن الخيّاط الدّمشقي في مدح أمير دمشق: (بحر الطويل)

أَلَا لَيْـــتَ أَنِّي لَمْ تَحُـــلْ بَـــيْنَ حَـــاجِرٍ
وَبَيْـنِي ذُرَى أَعْـلَامِ رَضْـوَى وَهَضْـبِهِ[21]

وكذلك قول الملك الأمجد: (بحر الوافر)

وَلَاحَ الـــبَرْقُ مِـــنْ أَعْـــلَامِ رَضْـــوَى
فَأَمْسَـــى لَا يَنَـــامُ وَلَا يُنِـــيمُ[22]

ويُوصف رضوى عند بعض الشُّعراء المتأخرين بـ "هضاب" وهضبات، كما في قول عبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي: (بحر الوافر)

كَتَائِـــبُ كَالهِضَـــابِ هِضَـــابِ رَضْـــوَى
يَضِـــيقُ بِهَـــا لِكَثْرَتِهَـــا الفَضَـــاءُ[23]

ومثل قول أبي المعالي الطالوي: (بحر البسيط)

فَلُـــذْ بِـــهِ طَـــوْدَ عَلْـــمٍ لَـــوْ تُوَازِنُـــهُ
هِضَـابُ رَضْـوَى عَلَـى مِقْـدَارِهَا رَجَحَـا[24]

وقول ابن نباتة السعدي: (بحر الطويل)

وَكَيْـــفَ أَخَـــافُ الحَـــادِثَاتِ وَدُونَهَـــا
قَوَاعِـدُ رَضْـوَى ذِي الهِضَـابِ وَصِـنْدِدُ[25]

وقول الأعمى التطيلي: (بحر الوافر)

أَجِـــدَّكُمُ بَكَـــتْ هَضَـــبَاتُ رَضْـــوَى
فَكَـــادَ الحُـــزْنُ فِيهَـــا يَسْـــتَبِينُ[26]

ويظهر أنَّ مثل هذه الأوصاف ظهرت في مراحل متأخّرة من الشّعر العربيّ، أمّا ما ساد من وصف رضوى في العصور القديمة فهو استخدام كلمة "رضوى" وحدَها، وهذا يُشير بوضوح إلى أنَّ اسم الجبل وصل حدًّا من الشُّهرة لا يلتبس بغيره. ومن ذلك قول أحد المعمرين الجاهليين وهو مسافع بن عبدالعزى الضمري عندما صور الألم والضيق الذي أحس به في نفسه لما رأى من مجتمعه عزلة له ولنظرائه الذين كبر سنهم، فيقول: (بحر الوافر)

جَلَسْـــتُ غَدِيَّـــةً، وَأَبُـــو عَقِيـــلٍ
وَعُـــرْوَةُ -ذُو النَّـــدَى- وَأَبُـــو رِيَاحِ
كَـــأَنَّا مَضْـــرَحِيَّاتٌ[27] بِرَضْـــوَى
يَنُـــؤْنَ -إِذَا يَنُـــؤْنَ- بِـــلَا جَنَـــاحِ
يَـــرَانَا أَهْلُنَـــا لَا نَحْـــنُ مَرْضَـــى
فَنُكْـــوَى، أَوْ نُلَـــدُّ[28]، وَلَا صِـــحَاح
وَلَا نَـــرْوِي العُضَـــالَ إِذَا اجْتَمَعْنَـــا
عَلَـــى ذِي دَلْـــوِنَا، وَالحَفْـــرُ طَـــاحِ[29]

(18) الشريف المرتضى (ت 436هـ)، ديوانه، شرح: محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1997م. (318/1). والمرد: ثمر الأراك.

(19) لم أجدهما في ديوانه الموسوم بـ(ديوان الشذور)، لبدر الدين الحسن بن حبيب الحلبي، (ت 779هـ)، تحقيق: حسن محمد عبدالهادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2019م. وهي منسوبة له عند التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري (ت1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م. (525/2).

(20) الزيات، الوزير محمد بن عبد الملك (ت232هـ)، ديوانه، شرح وتحقيق: جميل سعيد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1990م. (135).

(21) ابن الخياط الدمشقي، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن علي التغلبي (ت 517هـ)، ديوانه، رواية تلميذه أبي عبد الله محمد بن نصر القيسراني، عني بتحقيقه: خليل مردم بك، المجمع العلمي بدمشق، 1958م. (172). حاجر: منزل للحاج بالبادية.

(22) الملك الأمجد مجد الدين بن بهرام شاه الأيوبي (ت628هـ)، ديوانه، دراسة وتحقيق: ناظم رشيد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، 1982م. (ص373).

(23) الهمداني، أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل في أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق: محمد علي الأكوع، وزارة الثقافة، اليمن، ط1، 2004م. (ص335).

(24) الطالوي، درويش بن محمد بن أحمد الأرتقي الدمشقي، (ت 950هـ)، سانحات دمى القصر في مطارحات دمى العصر، تحقيق: محمد مرسي الخولي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1983م. ص107.

(25) ابن نباتة السعدي (ت 405هـ)، ديوانه، دراسة وتحقيق: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، وزارة الإعلام، بغداد، 1977م. (544/1).

(26) الأعمى التطيلي، ديوانه، جمعه وحققه: محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2014م. (ص244).

(27) المضرحيات: الصقور. انظر: لسان العرب، ابن منظور، (526/2).

(28) "اللَّدُودُ: مَا يُصَبُّ بالمِسْعُط مِنَ السقْي والدَّواء فِي أَحد شِقّي الْفَم فَيَمُرُّ عَلَى اللِّدِيد". لسان العرب، ابن منظور، (390/3). و"لد فلان: سقي اللدود، وهو ما سقيَ في أحد لديدي الفم وهما شقّاه" انظر: الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م. (165/2).

(29) أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٠ هـ)، المعمرون والوصايا، تحقيق: عبد المنعم عامر الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة – مصر عام النشر: ١٩٦١م. (ص30).
والبلاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م. (120/11).

وأيضا في قول النَّابغة الذُّبيانيّ: (بحر البسيط)

كَـــأَنَّهُنَّ وَرَضْـــوَى عَـــنْ شَمَائِلِهَـــا
مُسْتَحْلِسَـــاتٍ وَيَسْتَحْسِـــنَّ أَعْطَـــالا(30)

وأمثلة هذه التسمية كثيرة في الشِّعر العربيّ. ويرد كذلك عند المتقدمين من الشُّعراء وصف رضوى بـ "هضْب"، كما في قول أَبي تَمّام: (بحر البسيط)

جَـــاءَتْ بِصَـــقْرَيْنِ غِطْـــرِيفَيْنِ لَـــوْ وُزِنَا
بِهَضْـــبِ رَضْـــوَى إِذًا مَـــالَا بِرَاجِحِهَـــا(31)

وكذلك قول البُحتُرِيّ: (بحر الطويل)

وَقَـــامَ بِمَـــا لَـــوْ قَـــامَ رَضْـــوَى بِبَعْضِـــهِ
هَوَى الهَضْبُ مِنْ أَرْكَانِ رَضْوَى الـمُلَمْلَمُ(32)

وكقول الشريف المرتضى: (بحر الوافر)

كَـــأَنِّي إِذْ حَطَطْـــتُ إِلَيْـــهِ رَحْلِـــي
نَزَلْـــتُ بِهَضْـــبِ رَضْـــوَى أَوْ شَمَـــامِ(33)

ويحضر جبل رضوى في الشِّعر العربي عبر العصور بوصفه نقطةً مكانية يعرفها أهل المناطق المحيطة به، يلتقون حوله أو عليه أو يمرُّون به، كما يوصف ضمن الجبال المحيطة به، ومن ذلك وصف النابغة الذُّبياني للخيل وهي تعبر المنقطة المحاذية لرضوى فيكون عن شمالها، بقوله: (بحر البسيط)

تَشْـكُو العَضَـارِيطُ مِـنْ عَـوْذَي وَمِـنْ عَمَـمٍ
أَجْـــنَ الْمِيَـــاهِ وَقَـــدْ جَـــاوَزْنَ أَوْرَالَا
تَـــرَى عَرَانِيـــنَ لَا عُـــزْلًا وَلَا كُشُـــفًا
بِـــيضَ الْوُجُـــوهِ لَـــدَى الْهَيْجَـــاءِ أَبْطَـــالَا
مَـــا إِنْ يُبَـــلَّ وَلَـــمْ يُوجَـــدْ بِـــهِ أَثَـــرٌ
تُمْسِـــي وَتُصْـــبِحُ فِيـــهِ الْبُلْـــقُ ضُـــلَّالَا
كَـــأَنَّهُنَّ وَرَضْـــوَى عَـــنْ شَـــمَائِلِها
مُسْتَحْلِســـاتٍ وَيَسْتَحْســـنَّ أَعْطَـــالَا
قِسِـــيٍّ نَبْـــعٍ وَأَبْقَـــى مِـــنْ أَســـرَّتِهَا
قَـــوْدُ الْهَـــوَاجِرِ أَعْنَاقًـــا وَأَكْفَـــالَا(34)

كما يصف عروة بن الورد العبسي مسكن قومه في منخفض الأرض بجانب جبل رضوى وجبل صندد، فيقول: (بحر الطويل)

تَـــوَلَّى بَنُـــو زِبَّانَ عَنَّـــا بِفَضْـــلِهِمْ
وَوَدَّ شَـــرِيكٌ لَـــوْ نَسِـــيرُ فَنَبْعُـــدُ
لِيَهْنِـــئْ شَـــرِيكًا وَطْبُـــهُ وَلِقَـــاحُهُ
وَذُو الْعُـــسِّ بَعْـــدَ النَّوْمَـــةِ الْمُتَـــبَرِّدُ
وَمَـــا كَـــانَ مِنَّـــا مَسْـــكِناً قَـــدْ عَلِمْـــتُمُ
مَـــدَافِعُ ذِي رَضَـــوَى فَعَظْـــمٌ فَصَـــنْدَدُ
وَلَكِنَّهَـــا وَالـــدَّهْرُ يَـــوْمٌ وَلَيْلَـــةٌ
بِـــلَادٌ بِهَـــا الْأَجْنَـــاءُ وَالْمُتَصَـــيَّدُ(35)

ويذكر عبد الله بن العجلان النّهديّ جبل رضوى ضمن مناطق مدينة ينبع، فهو أسفل جبل بُواط، وعند هطول المطر يسيل الماء منه إلى رضوى، يقول: (بحر الخفيف)

سُـــقِيَتْ يَنْبُـــعٌ فَسَـــاحَتُها تِلْـــ
ـــكَ فَتِلْـــكَ الضِّـــيَاعُ فَالشَّـــعْثَاءُ
وَاثْلَأَبَّـــتْ تَصُـــبُّ مِـــنْ فَـــوْقِ رَضْـــوَى
فَبُـــوَاطٍ دَلْوِيَّـــةٌ وَطْفَـــاءُ(36)

ويصف عمرو بن العاص خروج جيش المشركين في معركة أحد على المسلمين، ولم يكن عمرو قد أسلم بعد، فقد جاؤوا إلى أرض المعركة من فيفاء الخبار في المدينة، فكانوا لجبل رضوى كالطريق التي تلفُّه، وقد تمنى بنو النَّجار، وهم الأنصار من أهل المدينة، لقاءهم، فقال: (بحر الطويل)

خَرَجْنَـــا مِـــنْ (الْفَيْفَـــا) عَلَـــيْهِمْ كَأَنَّنَـــا
مَـعَ الصُّـبْحِ مِـنْ رَضْـوَى الحَبِيـكُ الْمُنَطَّـقُ
تَمَنَّـــتْ بَنُـــو النَّجَّـــارِ جَهْـــلًا لِقَـــاءَنَا
لَـدَى جَنْـبِ سَـلْعٍ وَالْأَمَـانِيُّ تَصْـدُقُ(37)

وقلَّ هذا الوصف في العصور التالية بشكل ملحوظ؛ وهذا لأنَّ الشَّعراء العرب تفرَّقوا في العواصم، وبَقِي وصف جبل رضوى المكاني عند الشُّعراء الذين عاشوا في الحجاز وعرفوا المنطقة، مثل كُثيِّر عزة الذي عاش في المدينة وينبع قبل أن ينتقل إلى بلاد الشام ويتصل بعبدالملك بن مروان، وقبل أن ينتقل إلى مصر، فيذكر في مدحه عبدالملك بن مروان جبل رضوى مع

(30) النابغة الذبياني، ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1977م. (ص180).
(31) أبو تمام الطائي بشرح الخطيب التبريزي، ديوانه، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط4، 2017م. (354/1).
(32) البحتري، ديوانه، عني بتحققه: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1963م. (1927/1).
(33) ديوانه، (319/3).
(34) النابغة الذبياني، اعتنى به: حمدو طماس، ديوانه، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005م. (ص83).
(35) فحول العرب في علم الأدب، شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، لأبي يوسف بن يعقوب السّكيت، اعتنى بتصحيحه: الشيخ ابن أبي شنب، خزانة الكتب العربية، الجزائر، 1936م. (ص188).
(36) عبد الله بن العجلان النهدي، ديوانه، عني بجمعه وتصحيحه: إبراهيم صالح، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط1، 2010م. (ص51).
(37) وردت في سيرة ابن هشام، (143/2-144).

مناطق أخرى مثل الروحاء في المدينة، فيقول: (بحر الطويل)

بَلَـــوْهُ فَـــأَعْطَوْهُ المَقَـــادَةَ بَعْـــدَمَا

أَدَبَّ الـــبِلَادَ ســـــَهْلَهَا وَجِبَالَهَـــــا

مَقَـــانِبَ خَيْـــلٍ مَـــا تَـــزَالُ مُظَلَّـــةً

عَلَيْهِـــمْ فَمَلُّـــوا كُـــلَّ يَـــوْمٍ قِتَالَهَـــا

دَوَافِـــعَ بِالرَّوْحَـــاءِ طَـــوْرًا وَتَـــارَةً

مَخَـــارِمَ رَضْـــوَى مَرْجَهَـــا فَرِمَالَهَـــا

يُقَيِّلْـــنَ بِـــالبَرْوَاءِ وَالجَيْـــشُ وَاقِـــفٌ

مَـــزَادَ الرَّوَايَـــا يَصْـــطَبِنَّ فِضَـــالَهَا[38]

وأكثر كُثيِّر عزة من ذكر جبل رضوى بالإضافة إلى المناطق المحيطة به، ومن ذلك قوله: (بحر الطويل)

لِعَيْنِـــكَ تِلْـــكَ العِيـــرُ حَتَّـــى تَغَيَّبَـــتْ

وَحَتَّـــى أَتَـــى مِـــنْ دُونِهَـــا الخُـــبُّ أَجْمَـــعُ

وَحَتَّـــى أَجَـــازَتْ بَطْـــنَ ضَـــاسٍ وَدُونَهَـــا

رِعَـــانٌ فَهَضْـــبَا ذِي النُجَيْـــلِ فَيَنْبُـــعُ

وَأَعْـــرَضَ مِـــنْ رَضْـــوَى مِـــنَ اللَّيْـــلِ دُونَهَـــا

هِضَـــابٌ تَـــرُدُّ العَيْـــنَ مِمَّـــن يُشَـــيِّعُ[39]

وظهر الجبل في سياق المنطقة المحيطة بالجبل عند بعض الشُّعراء في العصر العباسي، وفي طليعتهم أبو تمام الذي تكرر ذكر مجموعة من الجبال في شعره، وهي رضوى وقدس ويذبل وعماية ويرمرم ومتالع ومواسل[40]، ومن ذلك قوله: (بحر الكامل)

إِنَّ الأَشَـــــاءَ إِذَا أَصَـــــابَ مُشَـــــذِّبٌ

مِنـــــهُ اثْمَهَـــــلَّ ذُرًى وَأَتَّ أَسَـــــافِلَا

حِقْفَـــانِ هَاهُمَـــا القَضَـــاءُ وَغَـــادَرَا

قُلَـــلاً لَنَـــا دُونَ السَّـــمَاءِ قَـــوَاعِلَا

رَضْـــوَى وَقُـــدْسَ وَيَـــذْبُلاً وَعَمَايَـــةً

وَيَرَمْرَمـــــاً وَمُتَالِعـــــاً وَمُوَاســـــِلَا

وكما ذكرت قبل قليل، فقد قلَّ ذكرُ رضوى والمناطق والجبال المحيطة به بتفاصيل مكانية وصفية، إلا أنَّ عددًا من الشعراء ذكروه بوصفه معلمًا أصيلًا في تراث الشّعر له دلالات البروز والعلو والثبات. وقد جاء هذا الذِّكر عند شعراء من الحِقب الزمنية المختلفة من العصر العباسي، ومن الأندلس، وكذلك في العصر الأيوبي والمملوكي والعثماني والحديث[41].

ب. أوصاف أُلحقت بجبل رضوى:

ولتحديد الأوصاف الدقيقة لجبل رضوى، بعد الوقوف على التَّسميات المتقدمة والوصف المكاني، تبرز مجموعة من الأوصاف التي أُلحِقت بجبل رضوى في مدونة الشِّعر العربي، والتي تلعب دورًا مهمًّا في رسم صورة الجبل وفي تحديد سماته، ولعلَّ أبرزها الضَّخامة وكبر الحجم، وما يتبع ذلك من معانٍ لازمة، مثل الرسوخ، والثبات. ومما لا شكَّ فيه أنَّ هذه الأوصاف ناتجة عن ضخامة جبل رضوى في الواقع، فهو "من فحول جبال الحجاز"[42] ومن أضخمها في الجزيرة العربية؛ إذ يبلغ ارتفاعه 2.282م (7.487قدم).[43] ولهذه الصفات اتخذته العرب رمزًا للرسوخ والضخامة والثبات والدوام، وكانت العرب قديمًا تقول في أمثالها: أثقل من رضوى"[44]. ولا تزال هذه المقولة دارجة حتى العصر الحديث، وقد وسمت الروائية المصرية رضوى عاشور كتابها بـ: "رضوى عاشور أثقل من رضوى"[45]. وحينما وصف عمرو بن العاص – رضي الله عنه – الموت عندما نزل به، قال لابنه: "يا بُني، الموتُ أجلُّ من أن يُوصف، ولكن

(38) كثير عزة، ديوانه، جمعه وشرحه: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1971م. (ص81).

(39) كثير عزة، ديوانه، (ص404).

(40) ديوان أبو تمام، ص 117.

(41) ومن هؤلاء الشعراء الأحنف العكبري (385هـ)، ديوانه، جمعه: الحسن بن شهاب العكبري الحنبلي (ت428هـ)، تحقيق: سلطان بن سعد السلطان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 1422هـ/1999م. ديوانه، (ص150). والشريف الرضي، ديوانه، (280/2)، واللواح العماني، أبي حمزة سالم بن غسان اللواح الخروصي، ديوانه، تحقيق: محمد علي الصليبي، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، ط1، 1989م. (1/ 207 و342 و262 و390 و399)؛ وابن عُنين الأنصاري الدمشقي، شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر، ديوانه، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، ط2، 2010م. (ص180).

(42) صالح عبد اللطيف السيد، ملامح من تاريخ ينبع، مطبعة الهيئة الملكية، ينبع الصناعية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1425هـ. (13/1).

(43) المملكة العربية السعودية حقائق وأرقام، هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 2012م. (ص44 و46 و116).

(44) انظر: أبو منصور الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت429هـ)، خاص الخاص، تحقيق: حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966م. (ص47)؛ وانظر: الراغب الأصفهاني، (ت502هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1420هـ. (802/1)؛ وانظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ط1، 1995م. (430/7).

(45) رضوى عاشور، رضوى عاشور أثقل من رضوى، مقاطع من سيرة ذاتية، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2013م.

سأصفُ لك منه شيئًا أجدني كأنّ على عُنقي جبال رَضوى..."[46].

وقد تواترت هذه الأوصاف في الشعر العربي عبر عصوره المختلفة في سياقات دلاليَّة مختلفة، تتجاوز الوصف الماديّ والشكليّ المباشر، فلا يهدف وردود أوصاف الضخامة والثقل إلى وصف الجبل نفسه، وإنما تُوظَّف هذه الصفات ضمن الصُّور التعبيريَّة المختلفة، وضمن الأغراض الشعرية المتعددة لا سيما المدح والهجاء والغزل والرثاء، وسيُناقِش المحوران التاليان هذا الحضور وسياقاته ودلالاته بشكلٍ تفصيليّ.

المحور الثاني: جبل رضوى والمعاني الإيجابية

تُقدِّم الصورة العامة لجبل رضوى جملة من الصفات المحوريَّة، من الضخامة والقوَّة والثبات والدوام، وهذه الصفات أكثر مناسبة للسياقات الإيجابية التي تتضمَّن مدحًا أو فخرًا أو غزلًا. وغلب على هذا التوظيف عدد من المعاني منها: ربط جبل رضوى بما يتصف به الممدوح من قدر ومكانة وقوة، أو تشبيه المنجزات العمرانيَّة العالية والمنيفة به، أو توظيفه لوصف عدد أفراد القبيلة افتخارًا بالكثرة والعدد، أو حتى استخدامه لوصف بعض الأجزاء الجسدية للحبيبة، أو وصف الشوق لها ومقدار حبها. تجتمع هذه الأشكال من التوظيف في معاني الضخامة والثقل، أو العلو والارتفاع، أو الكثرة، أو الثبات والصمود وعدم التغير، أو الدوام والبقاء.

وهذه الصفات راسخة في التراث العربي منذ أقدم العصور، ومما يفخر الشاعر به أو يمدح به الممدوحَ في شكل يجعل هذه الصفات تصل حدَّها الأقصى، فقدرة الممدوح لا تنكسر أمام الصعاب ولذلك "العرب تجعل الممدوح كالصخرة والجبل، وإنما يريدون عزه وثباته"[47]. ومما لا شك فيه أن حضور جبل رضوى بضخامته وصلابته وقوته وبقائه على مر العصور ولَّد لدى الشعراء معاني القوة والعظمة.

ويبرز توظيف جبل رضوى في هذا السياق على مستوى المعاني المعنوية غالبًا، فهذا المستوى يتضمن المعاني التي ترتبط في معظم الأحيان بالصور النفسية مثل الشوق والحب والمهابة، ومثل وصف العلم والحلم والخلق والمكانة، وسواها من المعاني المعنوية. أمَّا المعاني الحسية فهي أقلُّ حضورًا، مع وجود أمثلة عليها، وغالبًا ما تكون في وصف شيء مادي له في الغالب هيئة أو جسد، أو له عدد يوصف بالكثرة. وسأمثل ابتداء على المستويين الحسي والمعنوي، ومن ثَمَّ أشير إلى عدد من المعاني اللافتة في سياق التوظيف الإيجابي.

من أقدم الأمثلة الواردة في الشعر العربي لتشبيه الممدوح بجبل رضوى في الضخامة والثقل على المستوى المعنوي ما جاء على لسان بِشْر بن أَبي خازِمٍ الأسديّ (ت 22 قبل الهجرة) يمدح بني بدر الذين كانوا يغرونه بهجاء أوس بن حارثة، فيقول: (بحر البسيط)

لَمَّـــا تَخَالَجَـــتِ الأَهْـــوَاءُ قُلْـــتُ لَهَـــا
حَـــقٌّ عَلَيْـــكِ دؤُوبُ اللَيْـــلِ وَالسَّـــهَدُ
حَـــتَّى تَـــزُورِي بَـــنِي بَـــدْرٍ فَـــإِنَّهُمُ
شُـــمُّ العَـــرَانِينِ لَا سُـــودٌ وَلَا جُعُـــدُ
لَـــوْ يُوزَنُـــونَ كِيَـــالاً أَوْ مُعَـــايَرَةً
مَـــالُوا بِرَضْـــوَى وَلَمْ يَعْـــدِلْهُمُ أُحُـــدُ[48]

فبشر يُؤكِّد هنا على إن مكانة بني بدر بلغت مبلغًا عظيمًا من الرفعة والعلو وشرف النفس، فلو أردت وزن مكانتهم أو مقارنة رتبتهم في المفاخرة بشيء لمالوا به ولم يعدلهم أحد، حتى وإن كان الموزون جبل رضوى. وعلى الرغم من أنَّ المقارنة تتعلَّق بأمر أساسيٍّ من متعلقات جبل رضوى، وهو الثقل كما يظهر في كلمة "يُوزنون كيالًا"، فإنَّ المعاني الأخرى تحضر ضمنًا، مثل العلو والمهابة، فمكانتهم أثقل من جبل رضوى، وكذلك رتبتهم أعلى مكانة.

وقريب من هذا التوظيف قول زُهيرُ بنُ أَبي سُلمى (ت حوالي 13 قبل الهجرة) في مدح سنان بن أبي حارثة المُرِّي بقوله: (بحر البسيط)

قَـــوْمٌ أَبُـــوهُمْ ســـِنَانٌ حِيـــنَ تَنْسُـــبُهُمْ
طَـــابُوا وَطَـــابَ مِـــنَ الْأَوْلَادِ مَـــا وَلَـــدُوا
إِنْـــسٌ إِذَا أَمِنُـــوا جِـــنٌّ إِذَا غَضِـــبُوا
مُـــرَزَّؤُونَ بَهَالِيـــل إِذَا جُهِـــدُوا
مُحَسَّـــدُونَ عَلَـــى مَـــا كَـــانَ مِـــنْ نِعَـــمٍ
لَا يَنْـــزِعُ اللَّـــهُ مِنْهُـــمْ مَـــا لَـــهُ حُسِـــدُوا
لَـــوْ يُوْزَنُـــونَ عِيَـــارًا أَوْ مُكَايَلَـــةً
مَـــالُوا بِرَضْـــوَى وَلَمْ يَعْـــدِلْهُمُ أُحُـــدُ[49]

إنَّ جعلَ زهير الممدوحين أثقل من جبل رضوى وجبل أُحُد معه يبرز أسلوب توظيف هذا الجبل، فهو سبيل الشاعر إلى التعبير عن مكانتهم العالية وما هم فيه من خير يميل برضوى في الميزان، ولا يعدله جبل أُحُد.

ومن أمثلة ذلك من العصر العباسي قول أبي تمام (ت 231هـ) يمدح محمد بن عبد الملك الزّيات: (بحر الطويل)

هَـــزَزْتَ أَمِيـــرَ المُـــؤْمِنِينَ مُحَمَّـــدًا

(46) الحاكم، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م. (5915) (514/3).

(47) قاله الخطيب التبريزي في شرحه لديوان أبي تمام 352/3.

(48) بِشْر بن أَبي خازِمٍ الأسديّ، ديوانه، عني بتحقيقه: عزّة حسن، مديرية أحياء التراث القديم، دمشق، 1960م. (ص57).

(49) أبو العباس ثعلب، شرح شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، ط3، 2008م. (ص204).

فَكَـــانَ رُدَينِيًّـــا وَأَبْيَـــضَ مُنْصُـــلَا
فَمَـــا إِنْ تُبَـــالِي أَنْ تُجَهِّـــزَ رَأْيَـــهُ
إِلَـــى نَـــاكِثٍ أَلَّا تُجَهِّـــزَ جَحْفَـــلَا
تَـــرَى شَحْصَـــهُ وَسْـــطَ الخِلَافَـــةِ هَضْـــبَةً
وَخُطْبَتَـــــهُ دُونَ الخِلَافَـــــةِ فَيْصَـــــلَا
وَأَنَّـــكَ إِذْ أَلْبَسْـــتَهُ العِـــزَّ مُنْعِمًـــا
وَسَـــرْبَلْتَهُ تِلْـــكَ الجَلَالَـــةَ مُفْضِـــلَا
لِتَقْضِـــي بِـــهِ حَـــقَّ الرَّعِيَّـــةِ آخِـــرًا
وَتَقْضِـــي بِـــهِ حَـــقَّ الخِلَافَـــةِ أَوَّلَا
فَمَا هَضْبَتَا رَضْوَى وَلَا رُكْنُ مُعْنِقٍ
وَلَا الطَّـــوْدُ مِـــنْ قُـــدْسٍ وَلَا أَنْـــفُ يَـــذْبُلَا
بِأَثْقَـــلَ مِنْـــهُ وَطْـــأَةً حِيـــنَ يَعْتَـــدِي
فَيُلْقِـــي وَرَاءَ المُلْـــكِ نَحْـــرًا وَكَلْكَـــلَا(50)

يضع أبو تمام الممدوح في وطأته وفعله في رتبة عالية، فوطأته أثقل من هضبتي جبل رضوى ومعه ركن معنق وجبل قُدس ويذبل.

ومثال آخر من العصر العباسيّ قول البحتري (ت 284هـ) يمدح الفتح بن خاقان ويهنئه بالنجاة من سقوط جسرٍ وهو يعبره، فاعتذر عن الجسر الذي انخسف بالفتح بن خاقان، لأن الذي مر به ليس شيئا هيّنًا، إنما هو شخص ثقل حلمه مثل ثقل جبل قُدس، وهمته مثل جبل رضوى، فقدره لا يعدله أحد، فيقول: (بحر الطويل)

لَقَـــدْ كَـــانَ يَـــوْمُ النَّهْـــرِ يَـــوْمَ عَظِيمَـــةٍ
أَطَلَّـــتْ وَنَعْمَـــاءٌ جَـــرَى بِهِمَـــا النَّهْـــرُ
أَجَـــزْتَ عَلَيْـــهِ عَـــابِرًا فَتَسَـــاجَلَتْ
أَوَاذِيُّـــهُ لَمَّـــا طَمَـــا فَوْقَـــهُ البَحْـــرُ(51)
وَزَالَـــتْ أَوَاخِـــي الجِسْـــرِ وَانْهَـــدَمَتْ بِـــهِ
قَوَاعِـــدُهُ العُظْمَـــى وَمَـــا ظُلِـــمَ الجِسْـــرُ(52)
تَحَمَّـــلَ حُلْمًـــا مِثْـــلَ قُـــدْسٍ، وَهِمَّـــةً
كَرَضْـــوَى وَقَـــدْرًا لَـــيْسَ يَعْدِلُـــهُ قَـــدْرُ(53)

فالبحتري يقول للفتح: إنك أجزت على الجسر وعبرته فتساجلت أواذيه أي تلاطمت أمواجه لما عبر فوقه البحر، ويقصد بالبحر هنا ابنَ خاقان، فقد عبر البحر فوق الجسر، ثم إنَّ سبب زوال الأواخي أي عرى الجسر وانهدام قواعده العظيمة مشيُ رجل عظيم حلمه كجبل قدس، وهمته كجبل رضوى. وبعد هذا الحمل هل يُعقَّل أن يصمد الجسر وألا يقع.

ومن شهير القول توظيف المتنبي لرضوى في قصيدة يرثي بها محمد بن إسحق التنوخي، وفيها يقول: (بحر الكامل)

مَـا كُنْـتُ أَحْسَـبُ قَبْـلَ دَفْنِـكَ فِي الثَّـرَى
أَنَّ الكَـــوَاكِبَ فِـــي التُّـــرَابِ تَغُـــورُ
مَـــا كُنْـــتُ آمُـــلُ قَبْـــلَ نَعْشِـــكَ أَنْ أَرَى
رَضْـــوَى عَلَـــى أَيْـــدِي الرِّجَـــالِ تَسِـــيرُ(54)

فالمتنبي يجعل المرثيَّ في الشأن العظيم والمكانة الرفيعة مثل جبل رضوى. وهذا التوسُّع في المعاني التي يعبر عنها جبل رضوى على المستوى المعنوي يُؤكد الحضور الطاغي لهذا الجبل، وتحوُّله إلى رمز عام في الشعر العربي، فيأتي الشاعر الجديد وفي ذاكرته صورٌ كثيرة له وللسياقات الدلالية التي يوظَّف للتعبير عنها، وهذا يُمكِّن من إعادة استخدامه وتوظيفه بما يتناسب مع السياق الذي يكتب فيه الشاعر.

وبتتبع هذا الشكل من الاستخدام في الشعر العربي، نجد أنَّ هذا المعنى يتكرر حتى العصور المتأخِّرة، وتتولَّد المعاني المحددة تبعًا للسياق الذي يتحدث فيه الشاعر في إطار من المعنى المعنوي. ومن المفيد تقديم نماذج تشمل بقية العصور والبيئات الشعرية العربية المختلفة، وللاختصار هنا أقدِّم مثالين لصعوبة شمول الأمثلة كلها، الأول من الشعر في الأندلس، والآخر من العصر الحديث، فمن الشعر الأندلسي يقول ابن الدهان الموصلي في وصف صبره وقدرته على التحمل: (بحر الطويل)

صَـــبَرْتُ عَلَـــى نَحْـــتِ الخُطُـــوبِ وَبَرْيِهَـــا
وَإِنْ كَـــانَ ثِقْـــلًا لَـــيْسَ يَحْمِلُـــهُ رَضْـــوَى(55)

يُعظِّم الشاعر قدرته على المواجهة والتَّحمُّل، فلو كانت الخطوب التي يواجهها يعجز جبل رضوى عن تحمُّلها فإنه يصبر عليها ولا ينهزم.

ومن العصر الحديث يصف شكيب أرسلان حِلْم ممدوحه بأنه أثقل من رعان رضوى، فيقول: (بحر الوافر)

جَعَلْـــتَ عَلَـــيَّ حَـــقَّ ثَنَـــاكَ فَرْضًـــا
وَقَـــدْ أَحْيَيْـــتَ لِي مَيْـــتَ الرَّجَـــاءِ
تَوَقَّـــدُ فِطْنَـــةً وَتَسِـــيلُ لُطْفًـــا
كَطَبْـــعِ السَّـــيْفِ مِـــنْ نَارٍ وَمَـــاءِ
وَحُلْمُـــكَ رَاجِـــحٌ بِرِعَـــانِ رَضْـــوَى
وَعَزْمُـــكَ كَالـــمُهَنَّدِ فِي المَـــضَاءِ

(50) ديوانه، (3/101-102).
(51) الأواذي: هي الأمواج.
(52) الأواخي: هي العرى تشد إلى الوتد.
(53) ديوان البحتري، (1/846-847).
(54) عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986م. (2/232).
(55) ابن الدهان، أبو الفرج مهذب الدين عبد الله بن أسعد الموصلي (ت 581هـ)، ديوانه، حققه: عبد الله الجبوري، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1968م. (ص81).

وَمَجْـــدُكَ ظَـــاهِرٌ فَـــوْقَ الـــدَّرَارِي

وَذِكْـــرُكَ فَـــائِقٌ عَـــرْفَ الكَبَـــاءِ(56)

ولا بدَّ من التنويه هنا إلى عدد من المواضيع اللافتة لتوظيف جبل رضوى، كتوظيف الجبل للتعبير عن العلم الكثير، وللتعبير عن الأخلاق العظيمة، وفي مقدمتها الحلم والقدرة على التحمل، وكذلك الحماية والعصمة. ومن الأمثلة الدالة على العلم الكثير قول ابن الرومي (ت283هـ) في مدح الحسن بن عبيد الله بن سليمان وأخيه: (بحر الطويل)

وَمَـا الحُسْـنُ وَالطِّيـبُ الَّـذِي قَـدْ حَوَيْتُمَـا

سِـوَى فَضْـلِ أَخْـلَاقٍ تحَامِـدُهَا سَـرْدُ

وَعِلْـــمٍ وَحِلْـــمٍ لَا يُـــوَازِنُ بَعْضَـــهُ

شَـرَوْرَى وَلَا رَضْـوَى وَعَـرْوَى وَلَا رَقْـدُ(57)

فابن الرومي في هذه الأبيات يمدح الممدوحين بما اتصفا بأخلاق ذهبت محامدها مثلًا يُروى. والممدوحان لهما من العلم والحلم ما لا توازيه الجبال العظيمة كجبل رضوى وشرورى وعروى ورقد.

ويكثر هذا المعنى عند الشعراء العثمانيين، ومن ذلك مدح ابن الجزري (ت 1033هـ) مفتيَ حلب أبا الجود بن عبد الرحمن البتروني الحلبي (ت 1039) بعلمه وحلمه الباذخين، فهو يربو في عقله على جبلي رضوى وثبير، فيقول: (بحر الكامل)

مُفْـــتِي الـــوَرَى عِلْمًـــا وَحِلْمًـــا بَاذِخًـــا

أَرْبَى عَلَـــى رَضْـــوَى حِجًـــى وَثَبِـــيرِ(58)

ويأتي هذا المعنى في سياقٍ مماثل في مدح الحبسي (ت 1150هـ) للسيد الإمام يعرب بن سلطان في قصيدة اسمها "الملحية"، يقول فيها: (بحر البسيط)

حَلِيـــفُ عِلْـــمٍ وَحِلْـــمٍ لَـــوْ وَزَنْـــتَ بِـــهِ

رَضْـوَى لَـزَادَ عَلَـى رَضْـوَى وَقَـدْ رَجَحَـا(59)

فالممدوح هنا يرجح بحليفيه – العلم والحلم – على جبل رضوى، وهما صفتان عظيمتان كلما ازدادتا زاد الممدوح سموًّا وارتفاعًا، فجعلهما الشاعر أكبر من جبل رضوى بالضخامة والثقل، وهذا تعظيمٌ كبيرٌ للمدوح، يأتي من خلال المقارنة الضِّمنيَّة مع الجبل، الأمر الذي يتناسب مع غرض المدح في الشِّعر العربي.

وبالنظر في النماذج الشعرية التي تصف قوة الممدوحين وقدرة تحمُّلهم، نجد الشعراء يوظفون جبل رضوى للدلالة على عِظَم تلك القوة وقدرتها على تحطيم الأعداء، وعلى تحمل الأعباء والمهام الجليلة، والتعامل مع مصاعب طالبي العون، حتى وإن كانت هذه المصاعب والأعباء والمهام وهؤلاء الأعداء كجبال رضوى الصلدة الصلبة العظيمة الضخمة، فإنهم لَيتفوقون عليها ويملكون القدرة على تحطيمها. والنماذج كثيرة في هذا السياق، وقد وردت عند كثير من الشعراء في عصور الأدب العربي كلّها حتى العصر الحديث.

ومن ذلك قول أَبي تمّام (231هـ) يطلب فيه من الحسن بن وهب أن يتشفَّع عند أخيه سليمان بن وهب لرجل اسمه سليمان بن رزين، وهو ابن أخي دعبل الخزاعي: (بحر البسيط)

إِنْ شِـــئْتَ أَتْبَعْـــتَ إِحْسَـــانًا بِإِحْسَـــانِ

فَكَـــانَ جُـــودُكَ مِـــنْ رَوْحٍ وَرَيْحَـــانِ

فَقَـدْ -لَعَمْـرِي- فَتَقْـتَ الـمَاءَ مِـنْ حَجَـرٍ

فِي هَضْـبَةٍ وَهَصَـرْتَ الغُصْـنَ لِلْجَـانِي

فَاسْـــأَلْ سُـــلَيْمَانَنَا تَفْدِيـــهِ أَنْفُسُـــنَا

يَا مَـــنْ سُـــلَيْمَانُهُ يَرْعَـــى سُـــلَيْمَانِي

وَحَسْـــبُهُ بِـــكَ إِلَّا أَنَّ هِمَّتَـــهُ

أَنْ يَقْتَـنِي مَـعَ رَضْـوَى طَـوْدَ ثَهْـلَانِ(60)

فيجعل أبو تمام إحسان الحسن بن وهب في أعلى المراتب والأوصاف، فقد فجَّر جوده وعفوه الماء من الحجارة الصمَّاء، وأدنى الغصن لمن يجني ثماره، وهذا الثَّناء يُمهِّد لطلبه بعد ذلك الشفاعة لسليمان بن رزين من سليمان بن وهب، وهو الرجل العظيم الذي يكفيه أنَّ له أخًا مثل الحسن، إلا أنَّ له همَّة لا تتوقف عند مُلك الأمر العظيم الذي مثَّل له بجبل رضوى، فتجاوزه ليطلب معه طود ثهلان، في إشارة إلى أنَّ هذه الهمَّة في عظمة متنامية لا تتوقف عند حدٍّ ولا يمنعها بُعد المنال.

ومن ذلك أيضًا مدح البُحتُريّ للمهتدي بالله(61): (بحر الخفيف)

مُسْـــتَقِلٌّ وَلَـــوْ تَحَمَّـــلَ مَـــا حُـــمْ

مِـــلَ رَضْـــوَى لَانْبَـــتَّ حَبْـــلٌ مُغَـــارُ

والمستقل بنفسه ضابط لأمره وهو المنفرد بتدبير أموره لا سيادة لغيره عليه، أو هو القادر على الحرب المستطيع لها(62). فالبحتري هنا يمدح المهتدي

(56) الأمير شكيب أرسلان (1366هـ)، ديوانه، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2020م. (ص177).

(57) ابن الرومي، ديوانه، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 2003م. (665/3).

(58) حسين الجزري، ديوانه، جمعه الشيخ محمد راغب الطباخ ضمن كتابه: العقود الدرية في الدواوين الحلبية (ديوان حسين بن أحمد الجزري، وديوان فتح الله بن النحاس، وديوان مصطفى بن عبد الملك البابي)، طبع على نفقة محمد راغب الطباخ الحلبي، في المطبعة العلمية بحلب، 1347-1929. ص 82.

(59) الحبسي، راشد بن حميس بن جمعة العماني (ت1150هـ)، ديوانه، تحقيق: عبد العليم عيسى، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 1992م. (ص152).

(60) ديوان أبو تمام، بشرح الخطيب التبريزي، (336/3).

(61) ديوانه، (852/1).

(62) انظر: أساس البلاغة، الزمخشري، (99/2) وانظر: رينهارت بيتر آن دُوزِي، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط1، 2000م. (345/8).

بأنه قادر على تحمل المصاعب وما يأتي من مشاق وأمور كبار ومعضلات لا يستطيع جبل رضوى تحملها. فالممدوح مستقل قائم بذاته وجبل رضوى مستقل قائم بذاته، وكلاهما مرتفع في السماء وضارب في الأرض رسوخًا وثباتًا، لكن الفارق أنَّ الممدوح أثبت من رضوى؛ إذ لو حُمِّل رضوى ما حمله الممدوح لتقطعت حباله المفتولة ولسقط الجبل العظيم، في حين أنّ الممدوح ثابت راسخ لا يميد ولا يتزعزع.

ونجد هذا المعنى في مدح مهيار الديلمي (428هـ) تاجَ الملك أبا غالب الحسن بن منصور ويهنئه بالوزارة، فيقول: (بحر الطويل)

فَظَنُّوا تَكَالِيفَ الوَزَارَةِ سَهْلَةً
وَمَنْكِبُ رَضْوَى فِي العَرِيكَةِ يَصْعُبُ(63)

فيبدو الممدوح قويًّا ولديه القدرة على تحمل الصعاب وتحقيق النصر في المواجهات العظيمة، ومن ذلك عمله في الوزارة التي يظنها الآخرون سهلة، وعند المواجهة الحقيقية سيكون أهبط جزء من رضوى صعبًا، فكيف بذراه وأعاليه. وتتضمَّن المقارنة هنا بعدًا تصويريًّا لطيفًا يُمثِّل الفكرة المجرَّدة بشكل ماديٍّ يُجسِّدها ويجعلها قابلة للإدراك على مستوى التَّصوُّر العقلي.

وهذا النمط المتكرر من توظيف جبل رضوى لتمثيل المعاني على المستوى المعنوي هو الغالب في الشعر العربيّ عبر عصوره المختلفة. وبالمقابل يحضر السياق الذي يوظِّف الشعراء فيه جبل رضوى في بُعده المادي بشكلٍ أقلّ، مثل توظيفه للتعبير عن كبر الحجم أو الارتفاع وسعة المساحة في المباني أو المنازل أو التعداد.

ولعل من أشهر أمثلة هذا المستوى من توظيف جبل رضوى ما قاله البُحتُريّ في سينيَّته المعروفة التي يصف فيها إيوان كسرى بالمدائن بعد أن غادر بلاده وهو في حالةٍ نفسية سيئة، فيقول: (بحر الخفيف)

وَكَأَنَّ الإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنْـ
ـعَةِ جَوْبٌ فِي جَنْبِ أَرْعَنَ جَلْسِ
مُشْمَخِرٌّ تَعْلُو لَهُ شُرُفَاتٌ
رُفِعَتْ فِي رُؤُوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ
لَيْسَ يُدْرَى أَصُنْعُ إِنْسٍ لِجِنٍّ
سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لِإِنْسِ(64)

يصف البحتريُّ شرفات الإيوان بأنها عالية مرتفعة، وكأنَّها في ارتفاعها قد رُفعت على رأس جبلَي رضوى وقُدس، ويُتبع هذا الوصف في البيت الثالث حيرةً هل هو من صُنع الإنس أو من صنع الجن، بفعل غرابة الصنعة وإتقانها وتفوقها. وهذا يتضمَّن تعويضًا نفسيًّا لتركه بلادَه ونفسُه غير راضية عمّا على تلك البلاد.

(63) مهيار الديلمي (ت428هـ)، ديوانه، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1344هـ/1925م. (54/1). "والمنكِبُ: مجمع عظم العضد والكتف، وحبل العاتق من الإنسان والطائر ونحوه". الخليل الفراهيدي، العين، 385/5.

(64) ديوانه، (1160).

ومن الأمثلة اللافتة وصف أبي الحسن الجوهري(65) فيلًا كان في عسكر خراسان، بقوله: (مجزوء الكامل)

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَقَدْ تَبَدَّى
يَسْتَعْرِضُ الكَرَمَ المُعَدَّا
لَمْ تَرْضَ بِالخَيْلِ الَّتِي
شَدَّتْ إِلَى العَلْيَاءِ شَدَّا
حَتَّى دَعَوْتَ إِلَى العِدَى
مَنْ لَا يُلَامُ إِذَا تَعَدَّى
فِيلًا كَرَضْوَى حِينَ يَلْبَسُ
مِنْ رَقَاقِ الغَيْمِ بُرْدَا
مِثْلَ الغَمَامَةِ مُلِّئَتْ
أَكْنَافُهَا بَرْقًا وَرَعْدَا
رَأْسٌ كَقُلَّةِ شَاهِقٍ
كُسِيَتْ مِنَ الخُيَلَاءِ جِلْدَا(66)

لم يرضَ الوزير الذي يمدحه الشاعر بالخيل ليستخدمها جنودُه، وإنما جاء له بفيل لا يُمكن إيقافه أو ردُّه، وهو ضخم الحجم، وشبَّهه بجبل رضوى الذي يُعرَف عنه حجمه وضخامته، فهو يرتدي غيم السماء بُردًا له، فجعل الشاعر الفيل مثل جبل رضوى وهو يرتدي السحاب، وذلك للتّأكيد على ضخامته الهائلة.

وقريب من هذا المعنى توظيف الملك الأمجد (ت 628هـ) جبل رضوى للدلالة على كثرة الخيل وسعة الحرب العظيمة التي يطلبها، ويريدها مثل هضاب رضوى واسعة فيها منازل ومرابع، فيكون الجبل بذلك وسيلة للتكثير والتعظيم في الوقت نفسه، فيقول: (بحر الوافر)

أَمِنْ مَرْمًى بَعِيدِ القَفْرِ شَاسِعْ
رَجَعْتَ وَأَنْتَ دَامِي الجَفْنِ دَامِعْ
عَلَامَ وَأَنْتَ ذُو وَجْدٍ وَحَزْمٍ
يَرَاكَ الخَرْقُ مِنْهُ وَأَنْتَ زَامِعْ
أَثِرْهَا كَالهِضَابِ رَضْوَى
تَؤُمُّ بِكَ المَنَازِلَ وَالمَرَابِعْ
تَحِنُّ إِذَا رَأَتْ بِالغَوْرِ بَرْقًا

(65) هو: أبو الحسن علي بن أحمد الجوهري الجرجاني، شاعر، من كبار رجالات الصاحب ابن عباد. انظر: الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت 429هـ)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.(29/4).

(66) انظر الأبيات في يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت 429هـ)، (271/3).

بَـــدَا فِي حِنْـــدِسِ الظَّلْمَـــاءِ لَامِـــعْ
نَجَائِـــبُ تَرْتَمِـــي فِي البِيـــدِ بُـــدْنًا
يَطِسْـــنَ إِلَى مَعَالِمِهَـــا اليَرَامِـــعْ
أَثَرْهَـــا كَالهِضَـــابِ هِضَـــابِ رَضْـــوَى
تَـــؤُمُّ بِـــكَ المَنَـــازِلَ وَالـــمَرَابِعْ(67)

ويُوظَّف جبل رضوى في بعده المادي في وصف ما عُرِف بجلوس الاحتباء، وهو "الاشتمال بالثوب. أو هُوَ أَن يَضُمَّ الإِنسانُ رِجْلَيْهِ إِلى بَطْنِهِ بِثَوْبٍ يَجْمَعُهُمَا بِهِ مَعَ ظَهْرِهِ ويَشُدُّه عَلَيْهَا، وَقَدْ يَكُونُ الاحْتِبَاء بِالْيَدَيْنِ عِوَضَ الثَّوْبِ". ومنه الحديث: "الاحتباء حِيطَانُ العَرب". أَي لَيْسَ فِي الْبَرَارِيّ حِيطانٌ، فإِذا أَرادوا أَن يَسْتَنِدُوا احْتَبَوْا؛ لأَن الاحْتِبَاء يَمْنَعُهُمْ مِنَ السُّقوط وَيَصِيرُ لَهُمْ كَالْجِدَار"(68). وتخرج دلالة الاحتباء إلى معنى العطاء، فيقول الجوهريُّ في معجم الصحاح: "وحَباهُ يَحْبُوهُ، أي أعطاه. والحِباءُ: العطاءُ"(69). ومن ذلك ما ورد عند ابن خفاجة الأندلسي (ت 533هـ) في مدحه الفقيه أبا العلاء بن زهير: (بحر المتقارب)

تَصُـــوبُ السَّـــمَاءُ إِذَا مَـــا حَبَـــا
وَيَمْثُـــلُ رَضْـــوَى إِذَا مَـــا احْتَـــبَى(70)

فالشاعر يجعل السماء تنهلُّ بمطرها بعد عطاء الممدوح، فهي تستجيب له، كما أنَّ جبل رضوى يكون مثيلَه إذا احتبى الممدوح وأعطى كرمًا وجودًا، فيخرج بذلك بهذه الصفة من مقام الجلوس بالصفة المادية إلى مقام العطاء والكرم، ويتضمَّن ذلك تعظيم عطاء الممدوح، فعطاؤه يماثل جبل رضوى في عظمة قدره وقيمته.

ويرد مثل هذا التوظيف كذلك عند فتيان الشاغوري (615هـ) في مدحه الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه صاحب بعلبك، إذ يقول: (بحر الكامل)

تَنْهَـــلُّ يُمْنَـــاهُ بِخَمْسَـــةِ أَبْحُـــرٍ
وَتُـــلَاثُ حُبْوَتُـــهُ بِرَضْـــوَى ذِي الـــرُّبَا(71)

يُؤَكِّد الشاعر أنَّ الممدوح يعطي العطايا الكبار التي لا حد لها، فعطاياه ضخمة كأنَّ كلَّ إصبع من أصابع يديه بحرٌ، وهذا معنى "بأبحر خمسة"، والعطية الواحدة كأنَّها تلفُّ بجبل رضوى وتغلِّفه، للدلالة على عظمة أعطياته وجزالتها. ومن المهم أن يُنظر إلى جبل رضوى في مثل هذا السياق بما يشتمل عليه من الأودية والهضاب التابعة له، فتكون أعطيات الممدوح في غاية من الضخامة والعظمة.

ومن ذلك أيضاً مدح ابن نباتة المصري (ت 768هـ) لعلاء الدين بن غالب في قوله: (بحر الكامل)

انْظُـــرْ لِجَبْوَتِـــهِ وَأَنْعُمِـــهِ تَجِـــدْ
مِـــنْ جَـــانِبَيْ رَضْـــوَى سُـــيُولًا تَفْعَـــمُ(72)

يُمثِّل الشاعر عطاء الممدوح وسيول العطايا من جانبيه تسيل، بجبل رضوى والأودية تسيل من جانبيه غزيرة واسعة لا تُحدُّ ولا تتوقَّف، الأمر الذي يجعل العطايا مترامية الأطراف لا تُحدّ كثرة، وهي في الوقت نفسه تسيل حول مكان مترامي الأطراف، فتكون غاية في الكثرة والقيمة.

ومن الاستخدامات الطَّريفة لجبل رضوى ضمن البعد الماديّ وصفُ أحمد بن محمد علي المُدرِّس من العصر العثماني لأرداف امرأة بالضخامة، فرسم لها صورة مُضحكة بجعل أردافها مساوية لجبل رضوى في الكبر والضخامة، وهذا يجعل الصورة طريفة ولافتة، فيقول: (بحر الطويل)

وَوَجْنَتَهَـــا يَحْكِـــي دُمُـــوعِي احْمِرَارُهَـــا
وَرَضْـوَى مَعَ الْأَرْدَافِ مِنْهَا قَدِ اسْتَوَوْا(73)

ومن ذلك أيضا وصف أبي العباس الجراوي (ت 609هـ) جموع جيش الإمام بأنَّها ضخمة كبيرة مثل هضبات رضوى أو شواهق يذبل، فيقول: (بحر الكامل)

نَهَـــدَ الإِمَـــامُ إِلَـــيْهِمُ فِي سَـــاعَةٍ
عَـــزَّ المُحِـــقُّ بِهَـــا فَبَـــزَّ المُـــبْطِلَا
فِي جَحْفَـــلٍ لَجِـــبٍ كَـــأَنَّ جُمُوعَـــهُ
هَضَـــبَاتُ رَضْـــوَى أَوْ شَـــوَاهِقُ يَـــذْبُلَا(74)

هذه المعاني على الرغم من حضورها عند بعض المشاهير من الشعراء كما ظهر في

(67) ديوانه، (ص125).
(68) انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م. (335/1). ولسان العرب، ابن منظور، (161/14).
(69) الجوهري، معجم الصحاح، مادة حبو.
(70) ابن خفاجة، ديوانه، شرحه وضبط نصوصه وقدّم له: عمر فاروق الطباع، دار القلم، بيروت، 1415هـ/1994م. (ص25).
(71) فتيان الشاغوري، أبو محمد بن علي الأسدي (ت 315هـ)، ديوانه، تحقيق: أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1976م. ص35.
(72) ابن نباتة المصري (ت 768هـ)، ديوانه، دار إحياء التراث العربي، بيروت. د.ط، د.ت. (ص449). دار إحياء التراث العربي، بيروت. د.ط، د.ت.
(73) المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت1111هـ)، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، عيسى البابي الحلبي، مصر، ط1، 1969م. (390/4)؛ وجعفر ابن السيد حسن البرزنجي المدني (ت1177هـ)، التقاط الزهر من نتائج الرحلة والسفر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2018م. (340).
(74) أبي العباس الجراوي، (ت609م)، ديوانه، صنعه: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1994م. (ص133).

مثال البحتري، إلا أنّها قليلة الدوران في الاستخدام، مقارنة مع استخدام الجبل للتعبير عن المستوى المعنوي الذي شاع بين مختلف الشعراء من العصور كلها.

المحور الثالث: جبل رضوى والمعاني السلبية

ظهر في المبحث السابق قوة حضور جبل رضوى في تعظيم المعاني الإيجابية بمستوياتها المختلفة، ويناقش هذا المبحث المعاني التي يُوظِّف فيها الشعراء العرب جبل رضوى للتعبير عن سياقات سلبيَّة، يعجزون فيها عن التحمُّل، ويشيرون إلى تبرُّمهم وضجرهم من أحوالهم المختلفة. ويتبين من خلال تتبع توظيف جبل رضوى في هذا المستوى غلبةُ حضوره في سبيل الكشف عن الألم النفسي المتولد في الرثاء والحب، واللوعة، والوجد، والحرمان، فوصف الشعراء عدم قدرتهم على التحمل بالقوة المدمرة التي تهدُّ جبل رضوى بعظمته، فيغدو الجبل مزعزعًا غير ثابت.

ومن الملاحظ أنَّ هذا النمط من التوظيف لجبل رضوى يغلب عليه أن يكون بصيغة المتكلم، بمعنى أن الشعراء يشبهون عدم قدرتهم على تحمل الألم النفسي بجبل رضوى الذي لا يستطيع الصمود أمام ما تعرضوا له، فيتفتت الجبل وينهد ويتصدع أمام الصعاب التي تعتريهم، بينما في النمط الإيجابي نجد الشعراء يشبهون غيرهم بالقدرة على التحمل.

ومن أقدم الأمثلة التي جاءت في مدونة الشعر العربي في الإشارة إلى قوة الألم النفسي والخوف الذي لو نزل بجبل رضوى لما تحمَّله ولانهدَّ، قول هُدْبَة بن خَشْرَمٍ العُذْرِيّ (ت نحو 50هـ) مخاطبًا زوجته أم عمرو[75] في ردّه على ابن عمّه زيادة: (بحر الطويل)

فَقُلْـتُ لَهَـا أُوبِي فَقَـدْ فَاتَنَـا الصِّبَا
وَآذَنَ رَيْعَـانُ الشَّـبَابِ فَـأَدْبَرَا
وَحَـالَتْ خُطـوبٌ بَعْـدَ عَهْـدِكِ دُونَنَـا
وَعَـدَّى عَـنِ اللَّهْـوِ الْعَـدَاءُ فَأَقْصَـرَا
أُمُـورٌ وأَبْنَـاءٌ وَحَـالٌ تَقَلَّبَـتْ
بِنَـا أَبْطُـنٌ يَـا أُمَّ عَمْـرٍو وَأَظْهُـرَا
أُصِـبْنَا بِمَـا لَـوْ أَنَّ رَضـوَى أَصَـابَهَا
لَسَـهَّلَ مِـنْ أَرْكَانِهَـا مَـا تَـوَعَّرَا[76]

يدعو الشاعر زوجته لتعود إليه بعد افتراقٍ، فقد فارقهم عهد الصبا وأدبر عنهم الشباب، وتحوَّلت بهم الأزمان إلى مصائب لو أصابت جبل رضوى لهدَّت ذراه وأحالت أركانَه الوعرة سهلًا، الأمر الذي يعكس حالته النفسيَّة ومعاناته بعد الفراق وما تركه ذلك من تأثير كبير عليه. ويُشير د. مدحت فوزي عبدالمعطي في تعليقه على هذه الأبيات إلى "أنَّ الشاعر طوَّع مفردات الطبيعة لتشاركه هذا التحول؛ ذاك الذي بدا في علاقته بزوجته "أم عمرو". ومفهوم التبديل يستدعي في حد ذاته نقيضًا؛ إذ يفيد ما آل إليه المرء بعد حين من الدهر، إنها مفارقة بين مكوث ورحيل، ووصل وهجر، وفتوة وعجز، وأمن وخوف."[77]

ومن ذلك أيضًا ما ورد في شعر حسان بن ثابت الأنصاري[78] – رضي الله عنه – حين قال مصوِّرًا الحالة النفسية التي مرت بها أمٌّ فقدت ابنها وطار فؤادها فرقًا وخوفًا عليه، فيقول: (بحر الطويل)

وَأُمُّ ضِـرَارٍ[79] تَنْشُـدُ النَّـاسَ وَاهِمًـا
فَيَـالِ بَـنِي النَّجَّـارِ مَـاذَا أَضَـلَّتِ
وَلَـوْ أَنَّ مَـا تَلْقَـى نُتَيْلَـةَ غُـدْوَةً
بِأَزْكَـانِ رَضْـوَى مِثْلَـهُ مَـا اسْـتَعَلَّتِ[80]

فمن شدة الخوف الذي تشعر به نتيلة على ولدها، يقول حسان – رضي الله عنه – إنَّ ما أصابها لو حلَّ برضوى لما قام واعتلى، فقد احتملت خوفًا عظيمًا يستدعي وصفُه جبل رضوى بعظمته وضخامته.

ومن النماذج اللافتة في هذا المعنى قول أَبي العَلاء المعَرِي (449هـ)[81] في التعبير عن خوفه من الموت ومن غوائل الدهر ومن الهرم وما يتركه في النفس من آثار، لا سيما فقد العقل والخرف، فيقول: (بحر الوافر)

أَهَـابُ مَنِيَّـتِي وَأُحِـبُّ سِـتْرِي
وَخَـوْفُ الشَّـيْخِ مِـنْ هَـرَمٍ وَهَـتْرِ[82]
وَلَـوْ كُنْـتُ الفَنِيـقَ وَمِثْـلَ رَضْـوَى

(75) وقيل يكنيها بـ" أم مالك وأم بوزع مرة أخرى، وأم عمرو أو أم معمر مرة ثالثة". انظر: شعر هدبة بن الخشرم العذري، يحيى الجبوري، ص8. دار القلم، الكويت، ط2، 1986م.

(76) يحيى الجبوري، شعر هدبة بن الخشرم العذري، دار القلم، الكويت، ط2، 1986م. ص93-94.

(77) حسين، مدحت فوزي عبد المعطي، ازدواجية التجاذب في شعر هدبة بن خشرم العذري، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم كلية الآداب، العدد 2، المجلد 12، عام 2020م. ص668-721.

(78) حسان بن ثابت، ديوانه، حققه: وليد عرفات، سلسلة جب التذكارية، لندن، 1971م. (ص 448)

(79) أم ضرار هي: نتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك، وابنها ضرار هو: ضرار بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: البلاذُري، أنساب الأشراف، (282/4).

(80) قال البلاذري في أنساب الأشراف (90/1): "وأضلت نتيلة ابنها ضرارًا، فكاد عقلها يذهب جزعًا. وولهت ولها شديدا. وكانت ذات يسار. فجعلت تنشده في الموسم، وتقول: (بحر الرجز)

أَضْلَلْتُـــهُ أَبْيَضَ لَوْذَعِيًّا ... لَمْ يَـــكُ مَجْلُـــوبًا وَلَا دَعِيًّا

وقالت أيضًا: (بحر الرجز)

أَضْلَلْتِه أَبْيَضَ كَالخِصَـافِ ... لِلفِتْيَةِ الغُرِّ بَنِي مَنَـافِ
ثُمَّ لَعَمْرِي مُنْتَهَى الأَضْيَـافِ ... سنّ لِفِهْرٍ سُنَّة الإِيـلَافِ
فِي القَرِّ حِينَ القَرِّ وَالأَصْيَافِ

وجعلتْ على نفسها لئن رده الله عليها أن تكسو الكعبة. فمر بها حسان بن ثابت الأنصاري، وقد حج في نفر من قومه. فلما رأى جزعها، قال هذه الأبيات".

(81) أبو العلاء المعري، اللزوميات، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1924م. (394/1).

(82) هتر: خرف. لسان العرب، مادة هتر.

سَـــنَامِي هَـــدَّتِ الأَيَّامُ كِـــتْرِي(83)

فيرى المعري أنه لو كان أسطوريًّا باقيًا مثل طائر الفنيق المعروف بأنَّه يتجدد بلا انتهاء، أو مثل جبل رضوى في الضخامة والقوَّة والثبات، لهدّت الأيام كِتْرَه ومتنَه ولم تُبقِه. وجمع المعرّي جبل رضوى بعد طائر الفنيق الأسطوري يعكس الصورة الذهنيَّة الكبيرة لهذا الجبل، وهي صورة تتجاوز البعد المادي إلى الصورة الذهنية الأسطورية. ويؤكِّد المعري في موضعٍ آخر شهير عِظَم الهم الذي يكابده، وهو همٌّ لا تقوى الليالي على تحمُّله، ويُثقل جبل رضوى ولا يقوى عليه، فيكون الجبل موازيًا لليالي في دلالتها على الزمان، فمقابل الزمان مكان يوازيه في صفته، فيقول: (بحر الطويل)

يُهِـــمُّ اللَيَـــالِي بَعْـــضُ مَـــا أَنَا مُضْـــمِرٌ

وَيُثْقِـلُ رَضْـوَى دُونَ مَـا أَنَا حَامِـلُ(84)

ويعلن الطغرائي (ت 1120م/513هـ) ضجره من خصومه وأعدائه، فيقول: (بحر الطويل)

فَمَـــنْ مُبْلِـــغٌ عَـــنِّي عِـــدَايَ أَلُوكَـــةً

تُـــؤَمُّ بِهَـــا هَـــامُ العُـــدَاةِ وَتُشْـــدَخُ

أَفِي كُـــلِّ يَـــوْمٍ جُلْبَـــةٌ مِـــنْ عَـــدَاوَةٍ

تُفَـــرِّقُ أَوْ شَـــوْكٌ مِـــنَ الضِّـــغْنِ تُنْـــتَخُ

وَلَسْـــعَةُ كَيْـــدٍ لَـــوْ يُـــرَامُ بِنَفْثِهَـــا

مَنَاكِـــبُ رَضْـــوَى أَوْشَـــكَتْ تَتَفَسَّـــخُ

تُطَـــاوِلُنِي قُعْـــسُ الضِّـــرَابِ سَـــفَاهَةً

وَقَـــدْ قَصُـــرَتْ عَـــنِّي شَمَـــارِيخُ بُـــذَّخُ(85)

يؤكِّد الشاعر أنَّ الخصومة التي يواجهها لا تتوقف، وما تكيد له للإيقاع به غدرًا ونكاية لو أصاب أعالي جبل رضوى لأوشكت على التفسُّخ والانهيار، وهذا تعبير عن الحالة النفسيَّة والضجر الذي يشعر فيه.

ويتكرر توظيف جبل رضوى في التعبير عن الحزن الشديد في غرَضَي الرثاء والغزل، فيصف الشعراء عدم قدرتهم على تحمُّل فقد الحبيب بالموت أو البعد، فيصيبهم من الغم والهم ما لو أصاب جبل رضوى لما بقي صامدًا ومتماسكًا.

ومن اللافت للنظر أنَّ هذا التوظيف لجبل رضوى للتعبير عن الحزن والألم في سياقي الرثاء والغزل لم يظهر قبل العصر الأموي، بناء على ما وجدت من نماذج، ولعلَّ هذا يعبّر عن شكلٍ من توسُّع توظيف هذا الجبل، وتطوُّر حضوره في سياقات لم تظهر من قبل، وإن كان المعنى في الدلالة على الضخامة والثقل حاضرًا منذ العصر الجاهليّ، ولكن في سياقات أخرى، كما ظهر في الأجزاء السابقة من هذا البحث. وهذا أمر مهمٌّ في التعبير عن قيمة الجبل، فقد توسَّعت مجالات توظيفه، ولم تقتصر على أصل التقليد الشِّعري التي نتجت من العصور الأقدم في الشعر العربي.

ومن ذلك أبيات مَجْنُونُ لَيلَى (ت 68هـ) يشتكي فيها حرقة ما يجد من الغمّ بسبب فقده حبيبته ليلى، حتى ظنَّ أنَّه سيموت قريبًا من شدة ما يجد من هوى أبلى شبابه وقوته، فقال: (بحر الطويل)

دَعُـــونِي بِغَمِّـــي وَانْهَضُـــوا فِي كَـــلَاءَةٍ

مِـــنَ اللهِ قَـــدْ أَيْقَنْـــتُ أَنْ لَسْـــتُ بَاقِيَـــا

وَرَاءَكُـــمُ إِنِّي لَقِيـــتُ مِـــنَ الهَـــوَى

تَبَـــارِيحَ أَبْلَـــتْ جِـــدَّتِي وَشَـــبَابِيَا

بَـــرَانِيَ شَـــوْقٌ لَـــوْ بِرَضْـــوَى لَهَـــدَّهُ

وَلَـــوْ بِثَبِـــيرٍ صَـــارَ رَمْسًـــا وَسَـــافِيَا(86)

فلو حلَّ الشوق الذي يحمله بجبل رضوى لانهدَّ، ولو نزل ما به بجبل ثبير لجعله ترابًا يسفي الغبار.

ومن ذلك أيضًا قول العَرْجي (ت120هـ): (بحر الطويل)

تُعَـــدِّدُ نَفْسِـــي مِـــنْ سُـــلَيْمَى عِـــدَادَهَا

فَلَـــمْ تَـــرْقَ عَيْـــنِي وَاسْـــتُطِيْرَ رُقَادُهَـــا

فَأَيْسَـــرُ مَـــا تَلْقَـــى مِـــنَ الوَجْـــدِ أَنَّهَـــا

مَـــعَ الحُـــزْنِ مَغْمُـــورٌ بِمَـــاءٍ سَـــوَادُهَا

ذَرُوفُ النَّهَـــارِ حِـــينَ تَحْمِـــي مِـــنَ البُكَـــا

كَثِـــيرٌ إِذَا جَـــنَّ الظَّـــلَامُ اطِّرَادُهَـــا

عَلَـــى عَـــبَرَاتٍ تَعْتَرِيـــنِي لَـــوَ أَنَّهَـــا

بِجَانِـــبِ رَضْـــوَى أَنْفَذَتْـــهُ وِهَادُهَـــا(87)

تظهر زفرات نفس الشاعر بشكل بارز في هذه الأبيات، فقد جفاه النوم، وبكى حتى غطى الدمع سواد عينيه اللتين ذرفتا في يومه ما لو سال بجانب رضوى لغُمِرت أوديته والسهول حوله، ولأساخت هذا الجبل العظيم وأغارته في الوهاد، وهي الأراضي المطمئنة.

ومن النماذج في الشعر الأندلسي أبيات لسان الدين بن الخطيب (776هـ) يتشكَّى فيها من النوى والبعد عن الحبيب، فمع أنَّه رجل صبور يحتمل النائبات، إلا أنَّ الشوق الذي يعتمل في صدره كأنَّه كتائب جيش لو وقف على جبلَي رضوى وثبير أو واجهتاه لزُعزعا من هول ذلك الجيش، فيقول: (بحر الطويل)

(83) الفنيق: "الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم". لسان العرب، (313/10). والكتر: السنام العظيم شُبِّه بالقبة. لسان العرب، مادة كتر.

(84) أبو العلاء المعري، شرح ديوان سقط الزند، شرحه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م. (ص193).

(85) الطغرائي، ديوانه، تحقيق: علي جواد ويحيى الجبوري، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر، ط2، 1986م. (116-117).

(86) قيس بن الملوح، ديوانه، رواية أبي بكر الوالبي، دراسة وتعليق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ/1999م.ص42.

(87) العرجي، ديوانه، جمعه وحققه وشرحه: د. سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م. ص211.

أَمَـــا وَخَيَـــالٍ فِي الـــمَنَامِ يَـــزُورُ
وَإِنْ كَـــانَ عِنْـــدِي أَنَّ ذَلِـــكَ زُورُ
لَقَـدْ ضِـقْتُ ذَرْعًـا بِالنَّـوَى بَعْـدَ بُعْـدِكُمْ
عَلَـــى أَنَّـــنِي لِلنَّائِبَـــاتِ صَـــبُورُ
أُدَافِـعُ مِـــنْ شَـــوْقِي وَوَجْـــدِي كَتَائِبًـــا
يُزَلْـــزِلُ رَضْـــوَى عِنْـــدَهَا وَثَبِـــيرُ(88)

ومثل هذا المعنى يرد في معارضة محمود سامي البارودي (ت1322هـ) لقصيدة البحتري التي أولها: (بحر الطويل)

لَنَـــا أَبَـــدًا بَـــثٌّ نُعَانِيـــهِ فِي ((أَرْوَى))
وَ((حُزْوَى)) وَكَمْ أَدْنَتْكَ مِنْ لَوْعَةٍ ((حُزْوَى))

وذلك في قوله: (بحر الطويل)

هُـــوَ الْحُـــبُّ يَعْتَـــامُ الْكِـــرَامَ وَلَـــنْ تَـــرَى
لَئِيمًـا يَنَـالُ السَّـبْقَ فِي الْفَضْـلِ أَوْ يَهْـوَى
وَمَـنْ ذَا الَّـذِي يَقْـوَى عَلَـى دَفْـعِ مَـا أَتَـى
بِـهِ الْحُـبُّ مِـنْ جـوْرٍ وَسُـلْطَانُهُ أَقْـوَى
سَـــبُوقٌ إِذَا جَـــارَى لَحُـــوقٌ إِذَا هَـــوَى
غَلُـــوبٌ إِذَا بَادَى قَتُـــولٌ إِذَا أَهْـــوَى
لَـــهُ سَـــوْرَةٌ لَـــوْ صَـــادَمَتْ رُكْـــنَ يَـــذْبُلٍ
وَرَضْـوَى لَهَـدَّتْ يَـذْبُلًا وَمَحَـتْ رَضْـوَى(89)

يوظِّف البارودي جبل رضوى في التعبير عن أنَّ الحب والهوى الذي يعتام الكرام ليس أمرًا سهلًا، فالتحكم به عسير، وهو لا يقوى على دفع توابعه لقوة سلطانه، ولما له من سطوة وأثر لو صادمت أركان جبلي يذبل ورضوى لهدت الأول ومحت الثاني، تعظيمًا لتأثيره وخطورته، خاصة في نفوس الكرام.

ومن أقدم نماذج الرثاء في هذا المعنى ما جاء في رثاء كُثَيِّر عَزَّةَ (ت105هـ) عبد العزيز بن مروان: (بحر الطويل)

عَجِبْـــتُ لِأَنَّ النَّائِحَـــاتِ وَقَـــدْ عَلَـــتْ
مُصِـــيبَتُهُ فَهْـــرًا فَعَمَّـــتْ وَأَصْـــمَتِ
نَعَيْـــنَ وَلَـــوْ أَسْـــمَعْنَ أَعْـــلَامَ صِـــنْدِدٍ
وَأَعْـلَامَ رَضْـوَى مَـا يَقُلْـنَ، ادْرَهَمَّـتِ(90)

يعبّر الشّاعر عن تعجبه من انتشار خبر وفاة عبد العزيز بن مروان، ولو سمعت جبالُ صندد وجبال رضوى ما تنقله النائحات من خبر لسقطت (ادرهمَّت) من أعاليها لعظم الفاجعة وهول المصيبة.

(88) لسان الدين بن الخطيب السلماني (776هـ)، ديوانه، صنعه وحققه: محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1989م. ص394.

(89) البارودي، محمود سامي باشا، ديوانه، حققه وضبطه: علي الجارم ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، 1998م. (709-711).

(90) كثير عزة، ديوانه، (323).

وفي قصيدة ابن الرومي (283هـ) الشَّهيرة التي يرثي أمه فيها يقول: (بحر الطويل)

وَيَـا لَـذَّةَ العَيْـشِ الَّـتِي كُنْـتُ أَرْتَضِـي
تَقَطَّـعَ مَـا بَيْنِـي وَبَيْنَـكِ فَانْصَـرَمْ
رُمِيـــتُ بِخَطْـــبٍ لَا يَقُـــومُ لِمِثْلِـــهِ
شَرَوْرَى وَلَا رَضْوَى وَلَا الهَضْبُ مِنْ خِيَمْ(91)

فالخطب الذي أصابه لا تقوى على تحمّله الجبال الراسخة، بما فيها شروري ورضوى وخيم، فهو بذلك خطبٌ عظيم لا يماثله أو يعادله سواه من الخطوب. وشبيه بهذا رثاء ابن أبي الخصال (540هـ) المقرئ أبي الحسن بن دُرّي بقوله: (بحر الطويل)

وَلَـــوْ فَقَـــدَتْ رَضْـــوَى الَّـــذِينَ فَقَـــدْتُهُمْ
أَرَاحَ تَـــدَاعِيهَا أُنَاسًـــا مِـــنَ الظِّـــنَنْ(92)

فرضوى لا تحتمل هذا الفقد الذي تعرَّض له الشاعر، ولو حدث ذلك لتداعى الجبل وانهدَّ، وانشغل الناس بذلك عن كل الظنون. ويبقى هذا التوظيف حاضرًا عند العديد من الشعراء عبر العصور التالية بصورة واضحة، والأمثلة عليه كثيرة(93).

ومن الأشكال الطريفة التي ظهرت في توظيف الشعراء العرب لجبل رضوى في سياقٍ سلبيّ وصف ثقل لقاء بعض الشخصيات غير المرغوب بها بثقل جبل رضوى، وأنَّ السفر البعيد مع شدة السقم لأهون من لقاء بعضهم. ويرجع ذلك لأسباب كثيرة منها: الجهل، والفضاضة والغلاظة، والبلادة، وطول الجلوس معهم، أو لكونهم عائقًا دون تحقيق المراد. ومن ذلك قول الصنوبري يهجو شخصًا، يوظِّف فيه الجبل للتهكم به فيقيس ثقله برضوى

(91) ابن الرومي، ديوانه، 2300/6. ونسبت القصيدة كاملة لابن المنير. شروري: جبل مطل على تبوك في شرقيها. وقال الأصمعي: شروري لبني سليم. ياقوت، معجم البلدان، 339/3. وعروى: جبل في ديار ربيعة بن عبد الله بن كلاب أو في ديار خثعم. ياقوت، معجم البلدان، 112/4.

(92) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، تحقيق: محمد رضوان الدّاية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1408هـ/1988م. ص285. والظنن جمع ظنّة: التهمة.

(93) انظر مثلًا: ديوان الأعمى التطيلي (525هـ)، (ص 108)؛ وابن الخيمي (ت685هـ) ديوانه، تحقيق هلال ناجي، زهير غازي زاهد، مركز البابطين، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية، مصر، ط10. (ص87)؛ ابن فُركون (ت820هـ)، ديوانه، تقديم وتعليق: محمد ابن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ط1، 1987م. ص108؛ ومالك بن المرحّل (ت699هـ)، دراسة تحليلية في أخباره وآثاره وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية، (ص416)؛ ولسان الدين بن الخطيب (776هـ) ص394؛ والهبل، الحسن بن علي بن جابر(1079هـ)، ديوانه، حققه: أحمد محمد الشامي، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط2، 1407هـ/1987م. (ص262)؛ إسماعيل صبري(ت1341هـ)، ديوانه، حققه: محمد القصاص وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ديوانه، ص211؛ محمد سعيد الحبوبي (1334هـ)، ديوانه، أعدّ: عبد الغفار الحبوبي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، 1400هـ-1980م. ديوانه، ص355.

فيكون أثقل منه: (بحر الخفيف)

الثَّقِيـــلُ الَّـــذِي يُقَـــاسُ بِرَضْـــوَى

ثِقَـــلًا أَوْ يَفُوقُـــهُ فِي القِيَـــاسِ(94)

ومن ذلك أيضًا قول كشاجم: (بحر الرجز)

مُقَـــــدُّمُ الخِلْقَـــــةِ مَمْقُوتُهَـــــا

ذُو صُـــوَرةٍ أَثْقَـــلُ مِـــنْ رَضْـــوَى(95)

ومثله وصف ابن حزم في طوق الحمامة أنواعَ الرقباء والثقلاء، فيقول: (بحر الطويل)

يُطِيـــلُ جُلُوسًـــا وَهْـــوَ أَثْقَـــلُ جَـــالِسٍ

وَيُبْـــدِي حَـــدِيثًا لَسْـــتُ أَرْضَـــى فُنُونَـــهُ

ثَمَـــامُ وَرَضْـــوَى وَاللُّكَـــامُ وَيَـــذْبُلٌ

وَلُبْنَـــانُ وَالصُّـــمَّانُ وَالحَـــرْبُ دُونَـــهُ(96)

وهذه الأمثلة قليلة بالمقارنة مع شيوع الأشكال الأخرى لتوظيف رضوى في قصائد الشُّعراء، وهو ما ظهرت أمثلةٌ مختلفةٌ عليه خلال هذه الدراسة.

الخاتمة

تتبَّع البحث حضور جبل رضوى وسياقاته في الشِّعر العربيّ في عصوره وبيئاته المختلفة، ووقف على العديد من النَّماذج الشِّعرية التي ظهر من خلالها أنَّ توظيف هذا الجبل كان ضمن سياقات متعددة في مستوى شيوعها ودورانها بين الشُّعراء. وقد ركَّز المحور الأول على وصف جبل رضوى، وتحدثت فيه عن التَّسميات التي وردت للجبل في الشِّعر بالاعتماد على ما ورد في الدَّواوين والمجاميع الشِّعرية العربيَّة، كما تناول هذا المحور التَّفاصيل المكانيَّة للجبل كما وردت في الشِّعر العربيّ، بالإضافة إلى المناطق المحيطة التي قرنها الشُّعراء به في أشعارهم. وأبرز المحور الثَّاني المعاني والسِّياقات الإيجابية التي وُظِّف الجبل فيها، مثل تعظيم الشُّعراء لقدراتهم أو لقدرات ممدوحيهم، وتشبيه ما يمتلكونه من صفات، كالحِلم والثَّبات والقوَّة والقدرة والدَّوام والكثرة والرَّزانة والعقل وغيرها، بجبل رضوى وصفاته الدَّالة على تلك الصِّفات. وتبيَّن في هذا المحور أنَّ السِّياقات الإيجابيَّة لتوظيف جبل رضوى جاءت في مستويين، هما: مستوى المعاني المعنويَّة والمعاني الحسيَّة، كما تبين أنَّ غالب هذا الاستخدام جاء في غرضَي الفخر والمدح. أما المحور الثالث فهو: جبل رضوى والمعاني السلبية، وتبيَّن فيه أنَّ الصُّورة الغالبة لجبل رضوى في هذا السِّياق هو التَّعبير عن الألم النفسي الذي يظهر في الرِّثاء أو الفقد والبعد والحرمان. بالإضافة إلى التَّعبير عن معان أخرى كانت أقلَّ دورانًا مثل الضَّجر والسُّخرية.

الإفصاح والتصريحات

ليس لدى المؤلف أي مصالح مالية أو غير مالية ذات صلة للكشف عنها. ويُقِرُّ الباحث بعدم وجود تضارب مصالح مع أي شخص أو أي جهة نتيجة إجراء هذا البحث، ويُقِرُّ أن جميع الإجراءات والبيانات التي تم جمعها كانت محايدة، وليس لها أي تأثير مادي أو معنوي على أحد.

الوصول المفتوح: هذه المقالة مرخصة بموجب ترخيص إسناد الإبداع التشاركي غير تجاري 4.0 الدولي (CC BY- NC 4.0) ، الذي يسمح بالاستخدام والمشاركة والتعديل والتوزيع وإعادة الإنتاج بأي وسيلة أو تنسيق، طالما أنك تمنح الاعتماد المناسب للمؤلف (المؤلفين) الأصليين. والمصدر، قم بتوفير رابط لترخيص المشاع الإبداعي، ووضح ما إذا تم إجراء تغييرات. يتم تضمين الصور أو المواد الأخرى التابعة لجهات خارجية في هذه المقالة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقالة، إلا إذا تمت الإشارة إلى خلاف ذلك في جزء المواد. إذا لم يتم تضمين المادة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقال وكان الاستخدام المقصود غير مسموح به بموجب اللوائح القانونية أو يتجاوز الاستخدام المسموح به، فسوف تحتاج إلى الحصول على إذن مباشر من صاحب حقوق الطبع والنشر. لعرض نسخة من هذا الترخيص، قم بزيارة:
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0

المراجع

ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، تحقيق: محمد رضوان الدّاية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1408هـ/1988م.

ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م.

ابن الخياط الدمشقي، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن علي التغلبي (ت 517هـ)، ديوانه، رواية تلميذه أبي عبد الله محمد بن نصر القيسراني، عني بتحقيقه: خليل مردم بك، المجمع العلمي بدمشق، 1958م.

ابن الخيمي (ت685هـ) ديوانه، تحقيق هلال ناجي، زهير غازي زاهد، مركز البابطين، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية، مصر، ط10.

ابن الدهان، أبو الفرج مهذب الدين عبد الله بن أسعد الموصلي (ت 581هـ)، ديوانه، حققه: عبد الله الجبوري، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1968م

ابن الرومي، ديوانه، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 2003م.

ابن خفاجة، ديوانه، شرحه وضبط نصوصه وقدّم له: عمر فاروق الطباع، دار القلم، بيروت، 1415هـ/1994م.

ابن دريد الأزدي (321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987هـ..

(94) الصنوبري، أحمد محمد بن الحسن الضبي (ت334هـ)، ديوانه، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م. 179-180.

(95) كشاجم، محمود بن الحسين (ت360هـ)، ديوانه، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م. ص408.

(96) علي بن حزم الأندلسي (ت456هـ)، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1987م. (ص168).

ابن عُنين الأنصاري الدمشقي، شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر، ديوانه، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، ط2، 2010م.

ابن فُركون (ت820هـ)، ديوانه، تقديم وتعليق: محمد ابن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ط1، 1987م.

ابن منظور (711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط4، 2005م.

ابن نباتة السعدي (ت 405هـ)، ديوانه، دراسة وتحقيق: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، وزارة الإعلام، بغداد، 1977م.

ابن نباتة المصري (ت 768هـ)، ديوانه، دار إحياء التراث العربي، بيروت. د.ط، د.ت.

ابن هشام (ت213هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1375هـ - 1955م.

أبو العباس ثعلب، شرح شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، ط3، 2008م.

أبو العلاء المعري، اللزوميات، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1924م.

أبو العلاء المعري، شرح ديوان سقط الزند، شرحه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

أبو تمام الطائي بشرح الخطيب التبريزي، ديوانه، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط4، 2017م.

أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٠ هـ)، المعمرون والوصايا، تحقيق: عبد المنعم عامر الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة – مصر عام النشر: ١٩٦١م.

أبو منصور الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت429هـ)، خاص الخاص، تحقيق: حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966م.

أبو يوسف بن يعقوب السّكيت، فحول العرب في علم الأدب، شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، اعتنى بتصحيحه: الشيخ ابن أبي شنب، خزانة الكتب العربية، الجزائر، 1936م.

أبي العباس الجراوي، (ت609م)، ديوانه، صنعه: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1994م.

الأحنف العكبري (385هـ)، ديوانه، جمعه: الحسن بن شهاب العكبري الحنبلي (ت428هـ)، تحقيق: سلطان بن سعد السلطان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 1422هـ/1999م.

إسماعيل صبري(ت1341هـ)، ديوانه، حققه: محمد القصاص وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الأعمى التطيلي، ديوانه، جمعه وحققه: محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2014م.

الأمير شكيب أرسلان (1366هـ)، ديوانه، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2020م.

البارودي، محمود سامي باشا، ديوانه، حققه وضبطه: علي الجارم ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، 1998م.

البحتري، ديوانه، عني بتحققه: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1963م.

بدر الدين الحسن بن حبيب الحلبي، (ت 779هـ)، ديوان الشذور، تحقيق: حسن محمد عبدالهادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2019م.

بِشْر بن أَبي خازِمٍ الأَسديّ، ديوانه، عني بتحقيقه: عزّة حسن، مديرية أحياء التراث القديم، دمشق، 1960م.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 487)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ.

البلاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.

البيهقي (458هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ.

التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري (ت1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت 429هـ)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.

جعفر ابن السيد حسن البرزنجي المدني (ت1177هـ)، التقاط الزهر من نتائج الرحلة والسفر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2018م.

جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، لبنان، ط4، 1422هـ/2001م.

الحاكم، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.

الحبسي، راشد بن حميس بن جمعة العماني (ت1150هـ)، ديوانه، تحقيق: عبد العليم عيسى، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 1992م.

حسان بن ثابت، ديوانه، حققه: وليد عرفات، سلسلة جب التذكارية، لندن، 1971م.

حسين الجزري، ديوانه، جمعه الشيخ محمد راغب الطباخ ضمن كتابه: العقود الدرية في الدواوين الحلبية (ديوان حسين بن أحمد الجزري، وديوان فتح الله بن النحاس، وديوان مصطفى بن عبد الملك البابي)، طبع على نفقة محمد راغب الطباخ الحلبي، في المطبعة العلمية بحلب، 1347-1929.

حسين، مدحت فوزي عبد المعطي، ازدواجية التجاذب في شعر هدبة بن خشرم العذري، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم كلية الآداب، العدد 2، المجلد 12، عام 2020م.

الحموي ياقوت (626هـ)، معجم البلدان، الطبعة: الثانية، دار صادر- بيروت، ١٩٩٥م.

الراغب الأصفهاني، (ت502هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1420هـ.

رضوى عاشور، رضوى عاشور أثقل من رضوى، مقاطع من سيرة ذاتية، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2013م.

رينهارت بيتر آن دُوزِي، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط1، 2000م.

الزبيدي، تاج العروس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت. (31/ 269).

الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.

الزيات، الوزير محمد ين عبد الملك (ت232هـ)، ديوانه، شرح وتحقيق: جميل سعيد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1990م.

الشريف الرضي، ديوانه، شرحه وعلق عليه: محمود مصطفى حلاوي، دار الأرقم، بيروت، 1999م.

الشريف المرتضى (ت 436هـ)، ديوانه، شرح: محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1997م.

شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ط1، 1995م.

صالح عبد اللطيف السيد، ملامح من تاريخ ينبع، مطبعة الهيئة الملكية، ينبع الصناعية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1425هـ.

الصنوبري، أحمد محمد بن الحسن الضبي (ت334هـ)، ديوانه، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م. 179-180.

الطالوي، درويش بن محمد بن أحمد الأرتقي الدمشقي، (ت 950هـ)، سانحات دمى القصر في مطارحات دمى العصر، تحقيق: محمد مرسي الخولي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1983م.

الطغرائي، ديوانه، تحقيق: علي جواد ويحيى الجبوري، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر، ط2، 1986م.

عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986م.

عبد الله بن العجلان النهدي، ديوانه، عني بجمعه وتصحيحه: إبراهيم صالح، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط1، 2010م.

عرام بن الأصبع السُّلمي (275هـ)، أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، تح. عبد السلام هارون، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة، ط1، 1373هـ.

العرجي، ديوانه، جمعه وحققه وشرحه: د. سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م.

علي بن حزم الأندلسي (ت456هـ)، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: د.إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1987م.

العياشي، أبو سالم عبد الله بن أبي بكر، الرحلة العيّاشيّة، تح. د. سعيد الفاضلي ود. سليمان القرشي، دار السويدي، أبوظبي، ط1، 2006م.

فتيان الشاغوري، أبو محمد بن علي الأسدي (ت 315هـ)، ديوانه، تحقيق: أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1976م.

فؤاد شاكر، وحي الفؤاد، دار النوادر والدرر، القاهرة، 1369هـ/1950م.

قيس بن الملوح، ديوانه، رواية أبي بكر الوالبي، دراسة وتعليق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ/1999م.

كثير عزة، ديوانه، جمعه وشرحه: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1971م.

كشاجم، محمود بن الحسين (ت360هـ)، ديوانه، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م.

لسان الدين بن الخطيب السلماني (776هـ)، ديوانه، صنعه وحققه: محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1989م.

اللواح العماني، أبي حمزة سالم بن غسان اللواح الخروصي، ديوانه، تحقيق: محمد علي الصليبي، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، ط1، 1989م.

المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت1111هـ)، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، عيسى البابي الحلبي، مصر، ط1، 1969م.

محمد سعيد الحبوبي (1334هـ)، ديوانه، أعدّ: عبد الغفار الحبوبي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، 1400هـ-1980م.

محمد مسعود جبران، مالك بن المرحل أديب العدوتين (ت699هـ)، دراسة تحليلية في أخباره وآثاره وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2005م.

الملك الأمجد مجد الدين بن بهرام شاه الأيوبي (ت628هـ)، ديوانه، دراسة وتحقيق: ناظم رشيد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، 1982م.

المملكة العربية السعودية حقائق وأرقام، هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 2012م.

مهيار الديلمي (ت428هـ)، ديوانه، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1344هـ/1925م.

النابغة الذبياني، اعتنى به: حمدو طماس، ديوانه، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005م.

النابغة الذبياني، ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1977م.

الهبل، الحسن بن علي بن جابر(1079هـ)، ديوانه، حققه: أحمد محمد الشامي، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط2، 1407هـ/1987م.

الهمداني، أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل في أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق: محمد علي الأكوع، وزارة الثقافة، اليمن، ط1، 2004م.

يحيى الجبوري، شعر هدبة بن الخشرم العذري، دار القلم، الكويت، ط2، 1986م.

Reference

Abd Allāh ibn al-ʻAjlān al-Nahdī, dīwānih, ʻuniya bi-jamʻihi wa-taṣḥīḥihi : Ibrāhīm Ṣāliḥ, Dār al-Kutub al-Waṭanīyah, Abū Ẓaby, Ṭ1, 2010m.

Abd al-Raḥmān al-Barqūqī, sharḥ Dīwān al-Mutanabbī, Dār al-Kitāb al-ʻArabī, Bayrūt, 1986m.

Abī al-ʻAbbās al-Jurāwī, (t609m), dīwānih, ṣanaʻahu : ʻAlī Ibrāhīm Kurdī, Dār Saʻd al-Dīn, Dimashq, Ṭ1, 1994m.

Abū al-ʻAbbās Thaʻlab, sharḥ shiʻr Zuhayr ibn Abī Salmá, taḥqīq : Fakhr al-Dīn Qabāwah, Maktabat Hārūn al-Rashīd, Dimashq, ṭ3, 2008M.

Abū al-ʻAlā' al-Maʻarrī, al-Luzūmīyāt, Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah, 1924m.

Abū al-ʻAlā' al-Maʻarrī, sharḥ Dīwān Saqṭ al-zand, sharaḥahu : Aḥmad Shams al-Dīn, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt, 2007m.

Abū Ḥātim al-Sijistānī (t 250 H), al-Muʻammirūn wa-al-waṣāyā, taḥqīq : ʻAbd al-Munʻim ʻĀmir al-Nāshir : Dār Iḥyā' al-Kutub al-ʻArabīyah, ʻĪsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāh-al-Qāhirah – Miṣr ʻām al-Nashr : 1961m.

Al-Malik al'mjd Majd al-Dīn ibn Bahrām Shāh al-Ayyūbī (t628h), dīwānih, dirāsah wa-taḥqīq : Nāẓim Rashīd, Wizārat al-Awqāf wa-al-Shu'ūn al-dīnīyah, al-'Irāq, 1982m.

Al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah ḥaqā'iq wa-arqām, Hay'at al-Misāḥah al-jiyūlūjīyah al-Sa'ūdīyah, Maktabat al-Malik Fahd al-Waṭanīyah, Ṭ1, 2012m.

Al-Muḥibbī, Muḥammad Amīn ibn Faḍl Allāh (t1111h), Nafḥat al-Rayḥānah wrshḥh ṭlā' alḥānh, taḥqīq : 'Abd al-Fattāḥ Muḥammad al-Ḥulw, 'Īsá al-Bābī al-Ḥalabī, Miṣr, Ṭ1, 1969m.

Al-Nābighah al-Dhubyānī, dīwānih, taḥqīq : Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Dār al-Ma'ārif, al-Qāhirah, ṭ2, 1977M.

Al-Nābighah al-Dhubyānī, i'taná bi-hi : Ḥamdū ṭmās, dīwānih, Dār al-Ma'rifah, Bayrūt, Lubnān, ṭ2, 2005m.

Al-Rāghib al-Aṣfahānī, (t502h), Muḥāḍarāt al-Udabā' wa-muḥāwarāt al-shu'arā' wa-al-bulaghā', Sharikat Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam, Bayrūt, Ṭ1, 1420h.

Al-Sharīf al-Murtaḍá (t 436h), dīwānih, sharḥ : Muḥammad al-Tūnjī, Dār al-Jīl, Bayrūt, Ṭ1, 1997m.

Al-Sharīf al-Raḍī, dīwānih, sharaḥahu wa-'allaqa 'alayhi : Maḥmūd Muṣṭafá Ḥalāwī, Dār al-Arqam, Bayrūt, 1999M.

Alṣnwbry, Aḥmad Muḥammad ibn al-Ḥasan al-Ḍabbī (t334h), dīwānih, taḥqīq : Iḥsān 'Abbās, Dār Ṣādir, Bayrūt, Ṭ1, 1998M. 179-180.

Alṭālwy, Darwīsh ibn Muḥammad ibn Aḥmad al'rtqy al-Dimashqī, (t 950h), sānḥāt dumā al-qaṣr fī Muṭāraḥāt dumā al-'aṣr, taḥqīq : Muḥammad Mursī al-Khūlī, 'Ālam al-Kutub, Bayrūt, Ṭ1, 1983m.

Al-Tha'ālibī, 'Abd al-Malik ibn Muḥammad ibn Ismā'īl Abū Manṣūr (t 429h), Yatīmat al-dahr fī Maḥāsin ahl al-'aṣr, taḥqīq : Mufīd qamḥīyah, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1983m.

Al-Tilimsānī, Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad al-Muqrī (t1041h), Nafḥ al-Ṭayyib min Ghuṣn al-Andalus al-raṭīb, taḥqīq : Iḥsān 'Abbās, Dār Ṣādir, Bayrūt, Ṭ1, 1997m.

Al-Ṭughrā'ī, dīwānih, taḥqīq : 'Alī Jawād wyḥyá al-Jubūrī, Maṭābi' al-Dawḥah al-ḥadīthah, al-Dawḥah, Qaṭar, ṭ2, 1986m.

Al-Zamakhsharī, Asās al-balāghah, taḥqīq : Muḥammad Bāsil 'Uyūn al-Sūd, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1419H / 1998M.

Al-Zayyāt, al-Wazīr Muḥammad ibn 'Abd al-Malik (t232h), dīwānih, sharḥ wa-taḥqīq : Jamīl Sa'īd, al-Majma' al-Thaqāfī, Abū Ẓaby, 1990m.

Al-Zubaydī, Tāj al-'arūs, majmū'ah min al-muḥaqqiqīn, Dār al-Hidāyah, al-Kuwayt. (31/269).

Arrām ibn al'ṣb' alssulmy (275h), Asmā' jibāl Tihāmah wa-sukkānihā wa-mā fīhā min al-Qurá wa-mā yanbutu 'alayhā min al-ashjār wa-mā fīhā min al-miyāh, th. 'Abd al-Salām Hārūn, Maṭba'at Amīn 'Abd al-Raḥmān, al-Qāhirah, Ṭ1, 1373h.

Badr al-Dīn al-Ḥasan ibn Ḥabīb al-Ḥalabī, (t 779h), Dīwān al-shudhūr, taḥqīq : Ḥasan Muḥammad 'bdālhādy, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, 2019m.

Bishr ibn aby khāzimin al'sdī, dīwānih, 'uniya bi-taḥqīqihi : 'zzh Ḥasan, Mudīrīyat aḥyā' al-Turāth al-qadīm, Dimashq, 1960M.

Ftyān al-Shāghūrī, Abū Muḥammad ibn 'Alī al-Asadī (t 315h), dīwānih, taḥqīq : Aḥmad al-Jundī, Majma' al-lughah al-'Arabīyah, Dimashq, 1976m.

Fu'ād Shākir, waḥy al-fu'ād, Dār al-Nawādir wa-al-durar, al-Qāhirah, 1369h / 1950m.

Ḥassān ibn Thābit, dīwānih, ḥaqqaqahu : Walīd 'Arafāt, Silsilat Jibb al-tadhkārīyah, Landan, 1971m.

Abū Manṣūr al-Tha'ālibī, 'Abd al-Malik ibn Muḥammad ibn Ismā'īl (t429h), khāṣṣ al-khāṣṣ, taḥqīq : Ḥasan al-Amīn, Dār Maktabat al-ḥayāh, Bayrūt, 1966m.

Abū Tammām al-Ṭā'ī bi-sharḥ al-Khaṭīb al-Tabrīzī, dīwānih, taḥqīq : Muḥammad 'Abduh 'Azzām, Dār al-Ma'ārif, al-Qāhirah, ṭ4, 2017m.

Abū Yūsuf ibn Ya'qūb alsskyt, fuḥūl al-'Arab fī 'ilm al-adab, sharḥ Dīwān 'Urwah ibn al-Ward al-'Absī, i'taná bi-taṣḥīḥihi : al-Shaykh Ibn Abī Shanab, Khizānat al-Kutub al-'Arabīyah, al-Jazā'ir, 1936m.

Al-Aḥnaf al-'Ukbarī (385h), dīwānih, jama'ahu : al-Ḥasan ibn Shihāb al-'Ukbarī al-Ḥanbalī (t428h), taḥqīq : Sulṭān ibn Sa'd al-Sulṭān, Maktabat al-Malik Fahd al-Waṭanīyah, al-Riyāḍ, Ṭ1, 1422h / 1999M.

Al-a'má al-Tuṭīlī, dīwānih, jama'ahu wa-ḥaqqaqahu : Muḥyī al-Dīn Dīb, al-Mu'assasah al-ḥadīthah lil-Kitāb, Ṭarābulus, Lubnān, Ṭ1, 2014m.

Al-Amīr Shakīb Arslān (1366h), dīwānih, Mu'assasat Hindāwī, al-Qāhirah, 2020m.

Al-'Arjī, dīwānih, jama'ahu wa-ḥaqqaqahu wa-sharaḥahu : D. Sajī' Jamīl al-Jubaylī, Dār Ṣādir, Bayrūt, Ṭ1, 1998M.

Al-'Ayyāshī, Abū Sālim 'Abd Allāh ibn Abī Bakr, al-Riḥlah al'yyāshyyh, th. D. Sa'īd al-Fāḍilī Wad. Sulaymān al-Qurashī, Dār al-Suwaydī, abwẓby, Ṭ1, 2006m.

Al-Bakrī, Abū 'Ubayd 'Abd Allāh ibn 'Abd al-'Azīz (t 487), Mu'jam mā ast'jm min Asmā' al-bilād wālmwāḍ', taḥqīq Muṣṭafá al-Saqqā, ṭ3, 'Ālam al-Kutub, Bayrūt, 1403h.

Al-Bārūdī, Maḥmūd Sāmī Bāshā, dīwānih, ḥaqqaqahu wa-ḍabaṭahu : 'Alī al-Jārim wa-Muḥammad Shafīq Ma'rūf, Dār al-'Awdah, Bayrūt, 1998M.

Al-Bayhaqī (458h), Dalā'il al-Nubūwah wa-ma'rifat aḥwāl ṣāḥib al-sharī'ah, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1405h.

Alblādhury, Aḥmad ibn Yaḥyá ibn Jābir ibn Dāwūd (t 279h), ansāb al-ashrāf, taḥqīq : Suhayl Zakkār wa-Riyāḍ al-Ziriklī, Dār al-Fikr, Bayrūt, Ṭ1, 1417h / 1996m.

Al-Buḥturī, dīwānih, 'uniya btḥqqh : Ḥasan Kāmil al-Ṣayrafī, Dār al-Ma'ārif, al-Qāhirah, ṭ3, 1963M.

Al-habal, al-Ḥasan ibn 'Alī ibn Jābir (1079h), dīwānih, ḥaqqaqahu : Aḥmad Muḥammad al-Shāmī, al-Dār al-Yamanīyah lil-Nashr wa-al-Tawzī', ṭ2, 1407h / 1987m.

Al-Ḥabsī, Rāshid ibn ḥmys ibn Jum'ah al-'Umānī (t1150h), dīwānih, taḥqīq : 'Abd al-'Alīm 'Īsá, Wizārat al-Turāth al-Qawmī wa-al-Thaqāfah, Salṭanat 'Ammān, ṭ2, 1992m.

Al-Ḥākim, Abū 'Abd Allāh, Muḥammad ibn 'Abd Allāh al-Nīsābūrī al-ma'rūf bi-Ibn al-bay' (t 405h), al-Mustadrak 'alá al-ṣaḥīḥayn, taḥqīq : Muṣṭafá 'Abd al-Qādir 'Aṭā, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1990m.

Al-Hamadānī, Abī Muḥammad al-Ḥasan ibn Aḥmad ibn Ya'qūb, al-iklīl fī Akhbār al-Yaman wa-ansāb Ḥimyar, taḥqīq : Muḥammad 'Alī al-Akwa', Wizārat al-Thaqāfah, al-Yaman, Ṭ1, 2004m.

Al-Ḥamawī Yāqūt (626h), Mu'jam al-buldān, al-Ṭab'ah : al-thāniyah, Dār ṣādr-Bayrūt, 1995m.

Alī ibn Ḥazm al-Andalusī (t456h), Ṭawq al-ḥamāmah fī al-ulfah wa-al-ullāf, taḥqīq : D. Iḥsān 'Abbās, al-Mu'assasah al-'Arabīyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, Bayrūt, ṭ2, 1987m.

Al-Lawwāḥ al-'Umānī, Abī Ḥamzah Sālim ibn Ghassān al-Lawwāḥ al-Kharūṣī, dīwānih, taḥqīq : Muḥammad 'Alī al-Ṣalībī, Wizārat al-Turāth al-Qawmī, Salṭanat 'Ammān, Ṭ1, 1989m.

Jawād ʻAlī, al-Mufaṣṣal fī Tārīkh al-ʻArab qabla al-Islām, Dār al-Sāqī, Lubnān, ṭ4, 1422h / 2001M.

Kathīr ʻAzzah, dīwānih, jamaʻahu wa-sharaḥahu : Iḥsān ʻAbbās, Dār al-Thaqāfah, Bayrūt, Lubnān, Ṭ1, 1971m.

Kushājim, Maḥmūd ibn al-Ḥusayn (t360h), dīwānih, taḥqīq : al-Nabawī ʻAbd al-Wāḥid Shaʻlān, Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah, 1417h / 1997m.

Lisān al-Dīn ibn al-Khaṭīb al-Salmānī (776h), dīwānih, ṣanaʻahu wa-ḥaqqaqahu : Muḥammad Miftāḥ, Dār al-Thaqāfah, al-Dār al-Bayḍāʼ, Ṭ1, 1989m.

Mihyār al-Daylamī (t428h), dīwānih, Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, al-Qāhirah, Ṭ1, 1344h / 1925m.

Muḥammad Masʻūd Jubrān, Mālik ibn al-Muraḥḥal Adīb al-ʻudwatayn (t699h), dirāsah taḥlīlīyah fī akhbāruh wa-āthāruh wa-taḥqīq nuṣūṣahu al-adabīyah al-bāqiyah, al-Majmaʻ al-Thaqāfī, Abū Ẓaby, 2005m.

Muḥammad Saʻīd al-Ḥabbūbī (1334h), dīwānih, aʻdd : ʻAbd al-Ghaffār al-Ḥabbūbī, Dār al-Rashīd lil-Nashr, al-Jumhūrīyah al-ʻIrāqīyah, 1400h-1980m.

Qays ibn al-Mulawwaḥ, dīwānih, riwāyah Abī Bakr al-Wālibī, dirāsah wa-taʻlīq : Yusrī ʻAbd al-Ghanī, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1420h / 1999M.

Raḍwá ʻĀshūr, Raḍwá ʻĀshūr Athqal min Raḍwá, maqāṭiʻ min sīrat dhātīyah, Dār al-Shurūq, al-Qāhirah, ṭ2, 2013m.

Rynhārt Bītir Ān dūzī, Takmilat al-maʻājim al-ʻArabīyah, naqalahu ilá al-ʻArabīyah wa-ʻallaqa ʻalayhi : mḥmmad salym alnʻaymy wa-Jamāl al-Khayyāṭ, Wizārat al-Thaqāfah wa-al-Iʻlām, al-Jumhūrīyah al-ʻIrāqīyah, Ṭ1, 2000M.

Ṣāliḥ ʻAbd al-Laṭīf al-Sayyid, Malāmiḥ min Tārīkh Yanbuʻ, Maṭbaʻat al-Hayʼah al-Malakīyah, Yanbuʻ al-Ṣināʻīyah, al-Mamlakah al-ʻArabīyah al-Saʻūdīyah, Ṭ1, 1425h.

Shawqī Ḍayf, Tārīkh al-adab al-ʻArabī, Dār al-Maʻārif, Miṣr, Ṭ1, 1995m.

Yaḥyá al-Jubūrī, shiʻr hdbh ibn al-Khashram al-ʻudhrī, Dār al-Qalam, al-Kuwayt, ṭ2, 1986m.

Ḥusayn al-Jazarī, dīwānih, jamaʻahu al-Shaykh Muḥammad Rāghib al-Ṭabbākh ḍimna kitābihi : al-ʻuqūd al-durrīyah fī al-dawāwīn al-Ḥalabīyah (Dīwān Ḥusayn ibn Aḥmad al-Jazarī, wa-dīwān Fatḥ Allāh ibn al-Naḥḥās, wa-dīwān Muṣṭafá ibn ʻAbd al-Malik al-Bābī), Ṭubiʻa ʻalá nafaqat Muḥammad Rāghib al-Ṭabbākh al-Ḥalabī, fī al-Maṭbaʻah al-ʻIlmīyah bi-Ḥalab, 1347-1929.

Ḥusayn, Midḥat Fawzī ʻAbd al-Muʻṭī, izdiwājīyat al-tajādhub fī shiʻr hdbh ibn khshrm al-ʻudhrī, Majallat Kullīyat al-Ādāb, Jāmiʻat al-Fayyūm Kullīyat al-Ādāb, al-ʻadad 2, al-mujallad 12, ʻām 2020m.

Ibn Abī al-Khiṣāl, Rasāʼil Ibn Abī al-Khiṣāl, taḥqīq : Muḥammad Raḍwān alddāyh, Dār al-Fikr, Dimashq, Ṭ1, 1408h / 1988m.

Ibn al-Athīr al-Jazarī, al-nihāyah fī Gharīb al-ḥadīth wa-al-athar, taḥqīq : Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī, al-Maktabah al-ʻIlmīyah, Bayrūt, 1979m.

Ibn al-Dahhān, Abū al-Faraj Muhadhdhab al-Dīn ʻAbd Allāh ibn Asʻad al-Mawṣilī (t 581h), dīwānih, ḥaqqaqahu : ʻAbd Allāh al-Jubūrī, Maṭbaʻat al-Maʻārif, Baghdād, Ṭ1, 1968m

Ibn al-Khaymī (t685h) dīwānih, taḥqīq Hilāl Nājī, Zuhayr Ghāzī Zāhid, Markaz al-Bābaṭīn, Dār al-Wafāʼ li-Dunyā al-Ṭibāʻah, al-Iskandarīyah, Miṣr, ṭ10.

Ibn al-Khayyāṭ al-Dimashqī, Abī ʻAbd Allāh Aḥmad ibn Muḥammad ibn ʻAlī al-Taghlibī (t 517h), dīwānih, riwāyah tilmīdhihi Abī ʻAbd Allāh Muḥammad ibn Naṣr al-Qaysarānī, ʻuniya bi-taḥqīqihi : Khalīl Mardam Bik, al-Majmaʻ al-ʻIlmī bi-Dimashq, 1958m.

Ibn al-Rūmī, dīwānih, taḥqīq : Ḥusayn Naṣṣār, Dār al-Kutub wa-al-Wathāʼiq al-Qawmīyah, al-Qāhirah, ṭ3, 2003m.

Ibn Durayd al-Azdī (321h), Jamharat al-lughah, taḥqīq : Ramzī Munīr Baʻlabakkī, Dār al-ʻIlm lil-Malāyīn, Bayrūt, Ṭ1, 1987h ..

Ibn furkwn (t820h), dīwānih, taqdīm wa-taʻlīq : Muḥammad Ibn Sharīfah, Maṭbūʻāt Akādīmīyat al-Mamlakah al-Maghribīyah, Ṭ1, 1987m.

Ibn Hishām (t213h), al-sīrah al-Nabawīyah, taḥqīq : Muṣṭafá al-Saqqā wa-ākharūn, Muṣṭafá al-Bābī al-Ḥalabī, Miṣr, ṭ2, 1375h-1955m.

Ibn Khafājah, dīwānih, sharaḥahu wa-ḍabaṭa nuṣūṣahu wqddm la-hu : ʻUmar Fārūq al-Ṭabbāʻ, Dār al-Qalam, Bayrūt, 1415h / 1994m.

Ibn manẓūr (711h), Lisān al-ʻArab, Dār Ṣādir, Bayrūt, Lubnān, ṭ4, 2005m.

Ibn Nubātah al-Miṣrī (t 768h), dīwānih, Dār Iḥyāʼ al-Turāth al-ʻArabī, Bayrūt. D. Ṭ, D. t.

Ibn Nubātah al-Saʻdī (t 405h), dīwānih, dirāsah wa-taḥqīq : ʻAbd al-Amīr Mahdī Ḥabīb al-Ṭāʼī, Wizārat al-Iʻlām, Baghdād, 1977M.

Ibn ʻunyn al-Anṣārī al-Dimashqī, Sharaf al-Dīn Abī al-Maḥāsin Muḥammad ibn Naṣr, dīwānih, taḥqīq : Khalīl Mardam Bik, Dār Ṣādir, Bayrūt, ṭ2, 2010m.

Ismāʻīl Ṣabrī (t1341h), dīwānih, ḥaqqaqahu : Muḥammad al-Qaṣṣāṣ wa-ākharūn, Dār Iḥyāʼ al-Turāth al-ʻArabī, Bayrūt.

Jaʻfar Ibn al-Sayyid Ḥasan al-Barzanjī al-madanī (t1177h), Iltiqāṭ al-zahr min natāʼij al-Riḥlah wa-al-safar fī Akhbār al-qarn al-ḥādī ʻashar, taḥqīq : Aḥmad Farīd al-Mazīdī, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Lubnān, 2018m.